دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

مأساة فلسطين

عرض موجز لقضية فلسطين وتاريخها وتطورها
وحاضر فلسطين ومستقبلها

بقلم
محمد عزة دروزة

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

مأساة فلسطين

عرض موجز لقضية فلسطين وتاريخها وتطورها
وحاضر فلسطين ومستقبلها

بقلم

محمد عزة دروزة

اصدرته

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

• بمناسبة ذكرى تقسيم فلسطين

١٩٥٩ – ١٣٧٩

تعهـد

المؤسسة الثقافية

للنشر والتوزيع

في الاقليم السوري

الموزعون

دمشق	: دارالنهضةالعربية	: شارع خالدبن الوليد	تلفون ١٤٩٧٢
القاهرة	: مؤسسة الخانجي	: شارع عبد العزيز	تلفون ٤٣١٤٨
بغداد	: مكتبة المثنى	: شارع المتنبي	تلفون ٨٣٥٨٨
بيروت	: المكتبة الشرقية	: شارع المعرض	تلفون ٣٣٢٣٤
فلسطين	: دار الكتاب	: يوسف بحوث	تلفون ٠٠٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترح علينا بعض الاخوان أن نضع رسالة وجيزة نلخص فيها مأساة فلسطين وتاريخها وتطورها في مناسبة ذكرى تقسيمها المشؤومة لتظل ذكرى فلسطين ماثلة في أذهان شعبنا وخاصة ناشئتنا ويكون لهم فيها العبرة والحافز •

وها نحن نستجيب للاقتراح سائلين الله تعالى أن يجعل في هذه الرسالة النفع • وهو ولي التوفيق •

دمشق الشام

المؤلف

ـه ١٥/ ٥ /١٣٧٩
و ١٦/١١/١٩٥٩



لبنان
سوريا
عكا
حيفا
البحر
الابيض
المتوسط
نابلس
يافا
القدس
بيت لحم
الخليل
غزة
شرق
الاردن
مصر

١ ـ اساس المأساة لقاء الاستعمار والصهيونية

ـ ١ ـ

لقد كانت مأساة فلسطيننا العزيزة نتيجة لالتقاء الاستعمار مع الصهيونية على صعيدها .

فقد ترسم الانكليز في القرن الفائت الذي كانت فيه امبراطوريتهم اعظم الامبراطوريات المعاصرة أن يبسطوا سيطرتهم على ما كان في طريق الهند درة امبراطوريتهم ومستمد اسمها وثروتها . وتمكنوا بدسائسهم ونشاطهم من احتلال مصر والسودان وسواحل جزيرة العرب الجنوبية والشرقية بما فيها سواحل الخليج العربي . ثم رأوا في الحرب العالمية الاولى الفرصة السانحة لاتمام خطتهم . وكانت بلاد العراق وفلسطين وشرق الاردن هدفهم في هذه الفرصة حيث يضمن لها ذلك وصل البحر الابيض من ناحية فلسطين بالخليج العربي من ناحية العراق .

ولقد كانت فكرة تقسيم الامبراطورية العثمانية تراود دول أوروبا الكبرى منذ أوائل القرن التاسع عشر وكانت تسميها

بالرجل المريض . غير أن تناظرهـا وتنافسها كان مما يؤخـر وبعرقل تحقيق الفكرة . وكان التنافس بين انكلتره وفرنسـة وروسية . ثم دخلت المانيا بعد اتحادها مضمار المنافسة حتى غدت في اوائل القرن العشرين اشدالمنافسين ازعاجا .

فلما نشبت الحرب وصارت المانيا في طرف وانضمت اليها الدولة العثمانية وصارت بريطانيه وروسيه وفرنسه طرفا متحالفا ضد هذا الطرف كـان تحالف الدول الكبرى الثلاث حافـزا ومسوغا للاتفاق على تحقيق الفكرة فتفاوضتواتفقت . وكانت بلاد العراق من حصة بريطانيه وبلاد الشام من حصة فرنسـه والولايات الشرقية من الاناضول من حصة روسيه ، بالاضافة الى حصص اخرى منحت لليونان في ولاية أزمير وللطليان في منطقة انطاليه بزعم كل دولة من هذه الدول بمصالح متنوعة لها في القسم الذي طلبت ان يكون تحت استعمارها أو نفوذها . ولم يكن لبريطانيه مصالح مزعومة في فلسطين وشرق الاردن مقنعة لحلفائها الا انشاء سكة حديدية تربط بين الخليج العربي والبحر الابيض فمنحت لاجل ذلك سواحل فلسطين الشماليةمع طريق بري بينها وبين العراق مارا بشـرق الاردن . أما بقيـة فلسطين فقد كانت كل من روسية وفرنسة تزعم لنفسها فيهـا مصالح دينية وثقافية فلميمكنالتوفيقبينهما لاختصاصاحداهما

يها فأدى ذلك الى الاتفاق على ان تكون ادارتها دولية تشترك الدول الحليفة جميعها فيها •

وفي سنة ١٩١٧ م انفجرت الثورة الاشتراكية في روسية فأدت الى خروج روسية من الحرب • غير ان بريطانية وفرنسة لم تعتبرا ذلك ناقضا للاتفاق فتفاوضتا وأكدتا الاتفاق الذي تم بالنسبة لحصصهما ثم بالنسبة لفلسطين في ما عرف بعد بمعاهدة سايكس بيكو •

ومن الجدير بالذكر انه بينما كانت الدول الثلاث تتفاوض وتتآمر على تقسيم الامبراطورية العثمانية وبلاد العرب منها كانت بريطانية تتصل بشريف مكه الحسين بن علي وتتفاوض معه على القيام بثورة عربية كبرى ضد الدولة العثمانية مقابل الموافقة على انشاء مملكة عربية كبرى برئاسته تشمل بلاد العراق والشام والحجاز • وقد تم الاتفاق بينهما وبينه في الظرف الذي تم الاتفاق بين الدول الثلاث على ان تكون بلاد العراق ـ عدا القسم الشرقي من منطقة الموصل ـ منطقة نفوذ واستعمار انكليزية • وبلاد الشام مع منطقة الموصل المذكورة ـ عدا فلسطين ـ منطقة نفوذ واستعمار افرنسية وسواحل فلسطين الشمالية منطقة نفوذ واستعمار انكليزية وادارة فلسطين ادارة دولية ، مما كان فيه تناقض صارخ ملؤه الغدر والخيانة للغرب• وقد ظلت مصممة على هذا التناقض الغادر الخائن ومثلت في

مجاله ادوارا عجيبة بعد انتهاء الحرب منافية لكل خلق ومنطق وشرف وحق وبكل صفاقة واستهتار .

ـ ٢ ـ

ولقد نشأت حركة اليهود الصهيونيـة في اواسط القـرن التاسع عشر تتيجة لما كان يقع على اليهود في اوروبا من اضطهاده. فقد كان اليهود في أوروبا وغيرها منذ شتاتهـم في القرن الاول الميلادي يعيشون على بعضهم كتلا في احياء خاصة منكمشـين عن غيرهم من الملل الاخرى لا يألون جهدا في الوقت نفسه من امتصاص دمائها بالربا وغير الرباولايندمجون فيها ولا يخلصون للاوطان والدول التي كانوا يأوون فيها . فكان هذا الاسلوب من الحياة والسلوك وما كانوا يكتنزونه من اموال نامية من دماء الناس الذين يعيشون بين ظهرانيهم ، وكرههم للنصرانية التي يدين بها هؤلاء الناس وقذفهم السيد المسيح وامه بأشنع القذف يعرضهم لاضطهاد هؤلاء من حين لآخر . فرمت تلك الحركة الى تهجير اليهود المضطهدين الى بلاد ما يقيمون فيها لهم وطنا آمنا ثم تطورت حتى غدا اهدافها اقامة دولة يهودية في فلسطين ، بحجة انه كان لبني اسرائيل اصحاب الدين اليهودي فيها وطن ودولة قبل الفي سنـة . وسموا حركتهـم المتطورة باسـم الحركـة

الصهيونية نسبة الى جبل صهيون احد هضاب القدس التي اقام الملك داود عليها قصره ومركز حكومته قبل ثلاثة آلاف عام • ومنهم من غلا في خياله وتفكيره فاعتبر فلسطين قاعدة لدولة يهودية كبرى يجب ان تشمل ما بين الفرات الى النيل ويحتشد فيها ملايين اليهود وتصبح صاحبة اليد الاستعمارية والاقتصادية والسياسية في الشرق الاوسط كله بزعم ان سلطان اليهود القديم كان يشمل هذه الساحة الواسعة برغم ما في ذلك كله من سقم وزيف •

فبنو اسرائيل قد طرأوا على فلسطين وهي مأهولة بسكانها الكنعانيين والعموريين والفلسطينيين مزدهرة بمدنهم وحضارتهم وخرجوا منها قبل الفي سنة وظل اهلها فيها • ولم ينعموا بدولة واستقرار الا فترة قصيرة • وعاشوا على حضارة وعمران اهلها القدماء • وبقية مدة وجودهم فيها كانت مضطربة مليئة بالمنازعات مصبوغة بالدماء مرتكسة بالانحرافات الدينية والخلقية معرضة لغزوات الدول المجاورة لفلسطين وسيادتهم من مصر تارة والعراق تارة والشام تارة وشرق الاردن تارة والفلسطينيين تارة • ولم تخلص لهم فلسطين سكنا ولا حكما قط حتى في ايام حكم داود وسليمان أعز ايامهم حيث ظل حكم جنوبها في يد الفلسطينيين • ولم يكن لهم امتداد الى خارج فلسطين الا لماما

ولفترة عابرة ثم يرتدون مذعورين مهزومين[1] . ثـم عمرت فلسطين بالعرب الصرحاء بعد تشرد بني اسرائيل عنها وملكوها من الروم وأقاموا سلطانهم فيها منذ اكثر من الف وثلاثمائةسنة. وملأوها بآثارهم وجهودهم ومقدساتهم وطبعوها بطابعهم الخالد المقدس . وليس في ما يحتج به اليهود من حق العودة اليها أي منطق ولا مسوغ من تاريخ وحقائق . ويهود اليوم الى هـذا ليسوا من بني اسرائيل القدماء الا قليلا بل من اجناس ودمـاء متنوعة مختلفين في لغاتهم وتقاليدهم وعاداتهم وميولهم وأفكارهم وقد اختلط ذلك القليل في هذا الكثير حتى باد او كاد . وكل ما في الامر انهم يدينون بالدين اليهودي شـأن ابناء الاديـان الاخرى ... وليس من الممكن والسائغ اليوم ان تقوم دولـة ووطن على اساس ديني بحت يجتمع فيهمـا اجناس شتى ... ورغم ذلك كله فقد اخذ الصهيونيون يعقدون مؤتمرات دورية ويبذلون جهودهم في سبيل تحقيق هدفهم . ولقد خطوا بعض خطوات غير صريحة في سبيل ذلك حيث استطاعوا برشاويهم ودسائسهم ان يجعلوا رجال الدولة العثمانية في اوائل القـرن العشرين يسمحون لهم بشراء بعض الاراضي الخاليـة وانشاء بعض القرى عليها واسكان بعض المهاجرين فيها حتى بلغ عـدد

---

(١) في كتاب تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم للمؤلف شروح وافية لذلك كله مستندة الى الكتب التي يقدسها اليهود انفسهم.

مهاجري اليهود الجدد من اوروبا مع ما كـان في فلسطين من جماعات يهودية شرقية كانت جاءت اليهـا في مختلف الحقب السابقة نحو ستين الفا في اوائل الحرب العالمية الاولى • ولقـد حاولوا حمل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني على السماح لهم بهجرة واسعة فلمح الهدف السياسي فرفض ذلك رفضا باتا وأمر بتشديد الرقابة على هجرة اليهود الى فلسطين واقامتهـم فيهـا •

فلما نشبت الحرب العالميـة الاولى ظنوا انها قـد تكون فرصتهم • فأخذ فريق منهم يسعى مع الالمان وفريق آخريسعى مع الانكليز وحلفائهم في سبيل تحقيق هدفهم • ولقد قلنا انه لم يكن للانكليز مصالح مزعومة في فلسطين وشرق الاردن تسوغ لهم المطالبة بأن تكون منطقة نفوذ واستعمار لهم في حين انهم كانوا يرون ذلك امرا ضروريا • ولم يكن الصهيونيون يحلمون ان يقوم لهم في فلسطين قائمة بدون تدعيم دولةعظمىوحمايتها• فكان ذلك نقطة لقاء هامة بينهم وبين بريطانية اهتموا لاستغلالها من ناحيتهم ورحبت بريطانيا باهتمامهم من ناحيتهاحيث‌تصورت انها اذا تبنت قضيتهم وبذلت لهم وعدا بتشجيعهم على هدفهم بذلوا جهودهم في حمل الدول الاخرى على الموافقة على تبني بريطانيا لهدفهم‌وجعل‌فلسطين‌وشرق‌الاردن‌منطقة نفوذ واستعمار لهم بسبيل ذلك بماكان لهم من تمكن ونفوذ في‌مختلف‌الاوساط

الدولية والصحافية والمالية الاوروبية والاميركية . ولقد رأت بريطانية بالاضافة الى ذلك في الحركة الصهيونية مزية نافعة لها وهي احتياجها في فلسطين الى حام دائمي مهما نما عدد اليهود فيها لانهم سيبقون على كل حال عوامة صغيرة في وسط خضم عربي لا يمكنها ان تنجو من التحطيم وتحظى بالثبات الا بتدعيم قوي دائم من دولة كبرى ، ثم غدوها رأس جسر وحربة واسفين في البلاد العربية مما لا يضمنه لها القوة العسكرية وحدها .

— ٣ —

ولقد كانت الحركة القومية العربية الحديثة الهادفة الى بعث امجاد العرب ووحدة البلاد العربية قد اخذت تقوى حتى بلغ امر اركانها الى الاندماج في مفاوضات الشريف حسين مع بريطانية وكا نمطلب المملكة العربية الكبرى المستقلة المحدودة من مرسين الى الخليج العربي ومن بلاد فارس الى الخليج العربي ومن المحيط الهندي حتى سيناء أي البلاد العربية التي كانت تحت سلطان الدولة العثمانية الفعلي وقت المفاوضة هو مطلب اولئك الاركان الذي قدموه الى الشريف وارسلهالشريف الى الانكليز بنصه . وكانت قوة ونمو الحركة العربية مما يعرقل أو يشل تحقيق أهداف ومآرب بريطانية فرأت أن تحشد

اليهود في فلسطين وتبني الحركة الصهيونية هما بمثابة عقبات كأداء في سبيل نمو الحركة العربية فكان ذلك من عوامل اللقاء ومظاهر التآمر الاستعماري الانكليزي الصهيوني ايضا • فلما احتلت بريطانية جنوب فلسطين في خريف عام ١٩١٧ وتيقنت من ربح النصر واحتلال بقية فلسطين سارعت فأصدرت في ٢تشرين الثاني وعدها المشؤوم الذي عرف بوعد بلفور نسبة الى وزير الخارجية البريطانية الذي اصدره الرامي الى تعضيد انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين • ولقد سارعت فرنسه الى تأييد هذا الوعد لان ما في نمو الحركة الصهيونية من مزاياهوبالنسبة اليها ايضا عامل عرقلة هام للحركة العربية من شأنه ان يساعدها على نجاح اهدافها الاستعمارية في بلاد الشام •

ولم يكن تأييد فرنسة لوعد بلفور يعني تسليمها بأن تكون فلسطين وشرق الاردن تحت نفوذ واستعمار بريطانية • فالاتفاق بين الدولتين المتآمرتين يقضي بأن تكون فلسطين تحت ادارة دولية ، وشرق الاردن كان جزءا اداريا منولايةسوريةالتيكانت هي ولبنان منطقة نفوذ واستعمار افرنسية في ذلك الاتفاقالمجرم في حين كان ذلك امرا حيويا في نظر بريطانية من وجهة مآربها الاستعمارية • وقد عمدت بسبيل تأمين مآربها الى تحريض الامير فيصل الذي تولى رئاسة حكم سورية الداخلية حينما انسحبت الجيوش التركية من البلاد العربية في خريف عام١٩١٨

ورجال حكومته بل ورجال الحركة العربية على فرنسة وعرقـلة تحقيق مأربها وامتداد نفوذها على سورية طيلة سنتين طويلتين حتى اعجزتها وجعلتها توافق على العدول عن الادارة الدوليـة لفلسطين وعلى سلخ شرق الاردن عن سورية ووضع الاقليمين تحت نفوذها وحكمها وحينئذ تخلت عن فيصل والعرب بكل لؤم وغدر ونذالة وأخلت بين سوريـة وفرنسة فسارع قائدها غورو في تموز عام ١٩٢٠ الى الزحف على سورية واحتلالها ونسف الحكم العربي القومي فيها •

٢ ـ خطط التنفيذ الاجراميـة

ـ ١ ـ

ولقد اخذت بريطانية وزعماء الحركة الصهيونية يخططون خطط التنفيذ بدون توان . ففتحت أبواب فلسطين للمهاجرين اليهود حالما وضعت الحرب أوزارها في خريف عام ١٩١٨ وفي ظل الحكم العسكري الانكليزي الذي قام في فلسطين وجعلت اللغة العبرانية لغة رسمية مع العربية والانكليزية مع انــه لن يكن يتكلم بالعبرانية من اليهود انفسهــم الا نحو العشر ، وملئت دواوين الحكومة باليهود ... وقدم اليهود مشروع الخطة التي يجب ان يسار عليها في فلسطين في سنة ١٩١٩ فوافقت عليــه الحكومة البريطانية واخذت تسير عليه قبل ان يتقرر انتدابهــا رسميا على فلسطين وقد غدا هذا المشروع هو صك الانتداب على فلسطين الصادر عن عصبة الامم حينما قررت هذه العصبة انتداب بريطانية على فلسطين في نيسان عام ١٩٢٢ لان بريطانية قدمته لهذه العصبة باسمها فصادقت عليه على ما ذكرته لجنــة

التحقيق الملكية المعروفة بلجنة بيل في تقريرها الذي اصدرتـه عام ١٩٣٧ .

ولقد نصت المادة الثانية منه على مسؤولية الحكومة المنتدبة عن جعل البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي والمادة الرابعة نصت على تخويل الجمعية الصهيونية حق الشورى والمعاونة في ادارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يؤثر في انشاء الوطن القومي ومصالح اليهود ومشاكة الحكومة في ترقية مرافق البلاد والحصول على معونة جميع اليهود في انشـاء الوطن القومي . ونصت المـادة السادسة منه على وجوب تسهيل هجرة اليهود من قبل الحكومة المنتدبة وتنشيطها بالاتفاق مع الجمعية الصهيونية وتيسير استقرار اليهود في اراضي الدولة وفي اراضي البور ــ وهذه الاراضي وتلك مما كان يزرعه وينتفع به العرب ــ ونصت المادة السابعة على وجوب سن قانون يسهل على اليهود الحصول على الجنسية الفلسطينية . والمادة الحادية عشرة على وجوب اتفاق الحكومة مع الجمعية الصهيونية على استثمار الاعمال والمصالح والمنافـع العامة وترقية مرافق البلاد الطبيعية ووضع نظام للاراضي يتفق مع نتائج تشجيع واكثار المهاجرين واستغلال الاراضي اعظـم

ما يستطاع من استغلال [1] • حيث يبدو من هـذه النصوص المؤامرة الواسعة التي انعقدت بين بريطانية واليهود علىفلسطين والعرب •

ومن مظاهر هذه المؤامرة ان وعد بلفور وصك الانتداب سميا اهل فلسطين العرب باسم الطوائف غير اليهودية كأنما كان اليهود هم الاصل مع انه لم يكن من اليهود في فلسطين الا نحو ستين الفا وكان عدد العرب اهلها في عام ١٩١٨ ه ستمائة الف ونيف • ولقد حاول الانكليز ان يضللوا العرب عن مؤامراتهم فوضعوا في صك الانتداب ووعد بلفور نصوصا تنبه على عدم الاجحاف بحقوق ومركز الطوائف غير اليهودية في فلسطين مع ان استحالة ذلك كانت واضحة منذ البدء حيث لم يكن اغبى الناس ليجهل ان تكاثر عدد اليهود بالهجرة سيخل بمركز العرب السياسي وان اختصاص الجمعية الصهيونية بمشاركة الحكومة في اعمالها وتخويلها حق القيام بالمشاريـع والمصالـح والمرافق المتنوعة وتسهيل استقرار اليهود في اراضي الحكومةوالبورالتي التي ينتفع ويرتفق بها العرب وتسهيل انتقال الاراضي لليهود الذي سيضيق مجال الرزق والارتفاق على العرب وانسالهـم وجعل البلاد في حالات سياسية واقتصادية واجتماعية وادارية

---

(١) انظر نصوص صك الانتداب في الجزء الثالث من كتـاب الحركة العربية الحديثة للمؤلف ص ٢٥٠ـ ٢٦٥

تكفل انشاء الوطن القومي الذي يعني قلب البلاد من وطن عربي الى وطن يهودي كل هذا يوقع الاضرار بحقوق العرب ومركزهم من مختلف النواحي • يضاف الى هذا ان صك الانتداب قد صيغ بقالب شاذ مناقض للمادة (٢٢) من عهد جمعية الامم التي تعترف باستقلال البلاد العربية ومناقض لصكوك الانتداب التي وضعت لسورية ولبنان والعراق فلم يوجب على الحكومة الانكليزية في فلسطين كما اوجب عليها في العراق واوجب على فرنسة في سورية ولبنان انشاء حكومات وطنية واعتبار الدولة المنتدبة مرشدة وحسب • وقد قصد بهذا الشذوذ ان لا يكون في فلسطين حكومة وطنية لان العرب سيكونون فيها الاكثرية فلا يتحقق في نطاقها المنهج الصهيوني الذي قبله الانكليز بحذافيره لا تساقه مع السياسة التي ترسموها • وقد قال هذا شرشل بصراحة في الكتاب الابيض الذي اصدره عام ١٩٢٢ [١] بصفته وزيرا للمستعمرات حينما اشتد احتجاج الوفد العربي ومطالبته بحكومة وطنية في فلسطين كما هو شأن سورية ولبنان والعراق لان فلسطين داخلة في شمول المادة (٢٢) من عهد جمعية الامم •

ولقد كان كبار رجال الحكومة الانكليزية مدركين ان الوطن القومي معناه دولة يهودية حينما يبلغ عدد اليهود مقدارا

---

(١) هذا الكتاب ملحق للجزء الثالث من كتاب الحركة العربية الحديثة ص ٢٥٣ ـ ٢٥٧

كافيا على ما ثبت من مذكرات لهربرت صموئيل اول منـدوب سام انكليزي نشرت عام ١٩٤٦ (٢) وعلى ما قاله شرشل نفسه في هذه السنة .. ولقدتحمس اليهود من تدعيم الانكليز وادركوا ذلك منذ البدء حيث زار رئيسهم وايزمن القدس عقب احتلالها وجمع له الحاكم العسكري زعماء العرب فيها فأعلنهم انه مبتهج بانفتاح المجال امام اليهود بالعودة الى وطنهم ووعدهم بالمعاملة الحسنى كأنه كان يعلنهم ان اليهود سيغدون هم اصحاب الحكم عليهم مما اثار الزعماء وحملهم على الاحتجـاج والانسحـاب ساخطين لينذروا قومهم ، وحيث قال الفردمند احد كبارهـم المعروف ايضا باللورد ملتشت في كتاب ألفه سنة ١٩١٩ باسم الجار انى تطلع الى ذلك اليوم الذي تصبح فيه فلسطين وشرق الاردن وحدة تحكم نفسها وتدافع عنها ملايين اليهود المخلصين الذين يرتبطون بالامبراطورية البريطانية وتصبح مركزا عظيـم الاهمية لهذه الامبراطورية من النواحي العسكرية والتجاريـة والثقافية ، وحيث صرح زعيمان من أعضاء الجمعية الصهيونية سنة ١٩٢٠ امام لجنة تحقيق انكليزية الفت للتحقيق في اسباب ثورة

---

(٢) في المجموعة الاولى للوثائق الرئيسية في قضية فلسطـين خلاصة لهذه المذكرات انظر ص ٨٩ ــ ٩٦ اقرأ ايضا خلاصة مـن مذكرات وايزمن التي تتضمن الهدف البعيد للوطن القومي اليهودي وكونه دولة يهودية في المجموعة نفسها ص ٩٧ ــ ١١٣

عربية ضد اليهود نشبت في يافا وامتدت الى أنحاء كثيرة من المناطق المجاورة لها « ان فلسطين يجب ان تكون يهودية كما ان انكلترة انكليزية وكندا كندية وان الخدمة العسكرية وحمل السلاح يجب ان يكونا محصورين باليهود دون العرب وانه لا يمكن ان يكون في فلسطين الا وطن قومي واحد هو الوطن القومي اليهودي بدون مساواة في الاشتراك بين اليهود والعرب بل سيادة اليهود وتفوقهم حالما يكون عددهم قد زاد لدرجة كافية [1] » حيث يبدو من هذا مظاهر التآمر والتضليل والمستقبل الرهيب منذ الاصل . ولقد طالب رئيس الخاخامين ورئيس الجمعية الصهيونية في سنة ١٩٢٠ بوضع يد اليهود على حائط المبكى وجميع مكان الهيكل الذي هو الحرم القائم في وسطه مسجدالاقصى والصخرة وقال الفرد موند في مقال له « ان اليوم الذي يعاد فيه الهيكل اضحى قريبا وأني ساكرس بقية حياتي لبناء ذلك الهيكل مكان المسجد الاقصى » حيث ينطوي في هذا وذاك ادراك اليهود منذ البدء بأن فلسطين اصبحت ملكهم وانهم سوف يقتلعون جذور العرب منها ويبنون دولتهم على انقاضها . وقد كانوا في بدء الاحتلال الانكليزي ينشرون صور الحرم

---

(١) انظر خلاصة تقرير لجنة هيكرافت في مجلد المجموعة الاولى من الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين الذي اصدرته امانة الجامعة العربية ص ١٢٤ ـ ١٢٧

الشريف ومساجده وعليها الرموز الدينية اليهودية والكتابات العبرانية والشارات الصهيونية تعبيرا عن نياتهم المقبلة ويرسلونها لليهود في انحاء العالم للتبشير والتحميس .

ومن الجدير بالذكر ان الانكليز ساروا على خطة التضليل والخديعة بالاتفاق مع اليهود مع ادراكهم الحقيقة ازاء الملك حسين وابنه فيصل حينما علما بخبر وعد بلفور واحتجا عليه قبل نهاية الحرب حيث ارسلت الحكومة البريطانية مندوبا اسمه هوجارت للشريف حسين يحمل رسالة تؤكد محافظة هذه الحكومة على عهودها المقطوعة له وتتهم الترك بدس الدسائس، وأمرت مندوبها بشرح فكرة الوطن القومي باسلوم فهم منه الحسين ان القصد من ذلك ايجاد مأوى لمضطهدي اليهود في نطاق المملكة العربية المستقلة وسيادتها ، وحيث ارسلت وايزمان رئيس الحركة الصهيونية الى الامير فيصل في منطقة العقبة حيث كان يقود كتائب الثورة العربية ليطمئنه ويخفف وقع الامر عليه في نطاق ذلك الاسلوب . ثم خدعوا فيصلا في باريس ولندن في ظروف كانت فرنسة تقف من فيصل ومطالبه الاستقلالية لسورية

---

(١) صورة الرسالة التي حملها هوجارت الفوتوغرافية في كتاب الحركة العربية الحديثة ج ٣ ص ٣٠٨ وفي مجلد المجموعة الاولى من الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين المنشورة من قبل امانة الجامعة العربية مقتطفات من مذكرات هوجارت انظر ص ١٧ــ١٩

موقف العداء والمناوئة الشديدة وأوهموه ان اليهـود سوف يعضدونه فأخذوا منه كتبا يرحب فيها بهجرة اليهود والتعاون معهم.

— ٢ —

وفي سنة ١٩٢٠ انهت الحكومة البريطانية الحكم العسكري وأقامت مكانه حكما مدنيا وعينت هربرت صموئيـل اليهودي الصهيوني على رأس هذا الحكم باسم المندوب السامي فجـاء تعيينه برهانا جديدا على عزم الانكليز على دمغ فلسطين بدمغة الحكم اليهودي منذ أول الحكم المدني فبرز هذا في صورة أول ملوك اليهود في فلسطين ، وكان تعيينه وسيلة لاثارة عـاطفة اليهود وحماسهم في مختلف انحـاء الارض ولفت انظارهـم وأفكارهم الى فلسطين وجعلهم يقنعون بأنها أصبحت تحت الحكم اليهودي ومطبوعة بالطابع اليهودي ليهاجروا اليها ويمدوا يـد المساعدة على تحقيق الاهداف الصهيونية فيها . ولقد جـاء صموئيل وهو مقتنع بأن مهمته هي انشاء حكومة يهودية فـي فلسطين حيث صرح امام كبار موظفي الحكومـة من الانكليز قائلا « ان سياسة حكومة جلالته التي جاء لتطبيقها هي تشجيع اليهود الى أن تصبح السيطرة لهم على البلاد ويمكن انشـاء حكومة يهودية فيها » وقد كان مع تسميته باسم المندوب السامي

الذي سمي به معتمدو فرنسة وانكلترة فيسوريةولبنانوالعراق ليشرفوا على الحكومات الوطنية فيها هو الحاكم العام ورئيس السلطات التشريعية والتنفيذية والقائد العام ..

ولقد اخذ هذا المندوب منذ وطئت قدماهفلسطين يسير في السياسة المرسومة ويقيم جهازا حكوميا على أساس انه جهاز مستعمرة انكليزية تتهيأ ليستلم اليهود مقاليدها وتكون لهم المشاركة التامة في هذه التهيئة ايضا.

وقد أقيم على رأس كل دائرة من دوائر هذا الجهاز موظف انكليزي مسيحي أو يهودي وعلى رأس كلمقاطعةحاكمانكليزي كما عين في كثير من الوظائف الهامة في الدوائر المركزية ودوائر المقاطعات انكليز مسيحيون ويهود وموظفون يهود وغير يهود من غير الانكليز منهم الفلسطيني ومنهم غير الفلسطيني بحيث كان الجهاز وظل دائما يبدوكالمرقعة منكثرةالالوانوالجنسيات. وكان لليهود خاصة فيه نصيب الاسد حيث كان عددهم وظل يفوق نسبتهم اضعافا مضاعفة .

واقيم على رأس هذا الجهاز مجلس تنفيذي كان يتألف في البدء من المندوب وثلاثة سكرتيرين في مثابةوزراءواحدللداخلية وواحد للمالية وواحد للعدلية . ووسد منصب سكرتير العدلية الذي كان صاحبه المشرع لقوانين الدولة وفتاواها أيضا الى بنتويش اليهودي الصهيوني الانكليزي الرعوية . وقد تمكن

بذلك يهوديان صهيونيان من رقبة فلسطين اداريا وسياسيا وتشريعيا واقتصاديا حيث تكون الاكثرية لهما في حالة مخالفة السكرتيرين الآخرين لان رأي الرئيس اليهودي يكون مرجحا.

ودارت هذه الادارة الاستعمارية اليهودية في طريقها المرسوم فكان من نتائج ذلك أن اتيحت الفرصة لليهود لتهيئة فلسطين اداريا وسياسيا وتشريعيا واقتصاديا لانجاح انشاء الوطن القومي اليهودي وضمان النمو والقوة والرسوخ والوثوق للحركة الصهيونية التي كانت تترجح في الفضاء في سنواتها الاولى. وفي عهد صموئيل وزمياه بنتويش وجهدهما اشترى اليهود أكبر صفقات الاراضي التي اشتروها بالاسعار الزهيدة وزالت معالم عشرات القرى العربية[1] فيها وتشرد آلاف المزارعين

(1) كان كل او جل هذه القرى مملوكة لاسر لبنانية مسيحية كانت اشترتها من الدولة العثمانية بالمزاد في الايام الخالية لان اهلها رفضوا تسجيلها على انفسهم خوفا من الضرائب والجندية فاعتبرت منحلة. ونذكر بهذه المناسبة ان اليهود كانوا في سنة ١٩٤٦ يملكون نحو مليوني دونم من الاراضي الزراعية. منها نحو ٣٠٠٠٠٠ - ٤٠٠٠٠٠ كانوا اشتروها من ملاكين كبار فلسطينيين ولبنانيين في زمن الدولة العثمانية ونحو ٣٠٠٠٠٠ سلمتهم اياها الحكومة المنتدبة من اراضي الدولة و ٨٠٠٠٠٠ اشتروها من ملاكين غير فلسطينيين معظمهم لبنانيون في زمن الانتداب منها مرج بن عامر العظيم ووادي القباني ووادي الحوادث واراضي الحولة واراضي سيدنا علي وقرى الشمال. وكل ما باعه أهل فلسطين من أراضيهم لليهود في زمن الانتداب هو نصف مليون دونم. والبائعون هم -

العرب عنها تحت سمع الانكليز وبصرهم . وفي عهدهما منح اليهود امتياز كهرباء عموم فلسطين وامتياز استثمار البحر الميت الذي قدرت كنوزه بأربعة وعشرين ميليارا ، واقطع اليهود أكثر أراضي الدولة ووضعت القوانين الحامية للصناعات اليهودية والمانحة لها الامتيازات والاعفاءات المتنوعة فأخذت تنشأ صناعة يهودية قوية محمية لم تلبث أن صارت تتحكم في أسواق فلسطين ثم تملأ أسواق البلاد العربية الاخرى وتزاحم صناعاتها المحلية .

— ٣ —

ولقد ثارت مخاوف العرب من السياسة الصهيونية الانكليزية من البدء لما لمحوه في ثناياها من الاخطار الفادحة على بلادهم ومستقبلهم ثم على أهداف الحركة القومية التي كانوا مندمجين فيها منذ عهد الدولة العثمانية . وبرغم انهم على قلتهم وضعف امكانياتهم واجهوا أقوى قوتين عالميتين وهما الامبراطورية البريطانية والحركة الصهيونية في ظرف كانت بلاد العرب الاخرى في شغل شاغل عنهم فقد نظموا أنفسهم في جمعيات وطنية

ملاك كبار . أما الفلاحون واصحاب الملكيات الصغيرة فلم يكادوا يبيعون من اراضيهم شيئا لليهود .

سموها اسلامية مسيحية تعبيرا عن تضامن جميع العرب مسلميهم ومسيحيهم وأخذوا يعقدون المؤتمرات ويقدمون الاحتجاجات ويرسلون الوفود ويقومون بالحركات الكفاحية المتنوعة[1] .
غير ان الانكليز كانوا كلما احتج العرب أو اشتد غليانهم وانفجر مرجلهم داخل فلسطين وخارجها يعمدون الى التخدير والتضليل أو الدس والتخذيل أو القسوة والتنكيل ثم يظلون سائرين في سياستهم المجـرمة بنفس الحماس والقوة ، محـاولين التغلب بسبيل ذلك على كل صعب ، غـير مبالين بأي معنى من معاني الحق والحقيقة والوفاء الشرف والعدل والقانون والرحمة حتى تم لهم ولحلفائهم اليهود ما أرادوه وقفز عدد اليهود من ستـين ألفا أو أقل في عام ١٩١٨ الى أكثر من اربعمائة ألف في عام ١٩٣٦ ثم الى أكثر من ٧٥٠ ألفـا في عام ١٩٤٧ وتملكوا المسـاحات الواسعة من اجـود اراضي فلسطين وأنشأوا مئـات المصانع والمعامل وسيطروا على مرافق البلاد ونثروا مئات المستعمرات في مختلف أنحاء فلسطين وفق خطة مرسومة ، وشردوا عشرات الآلاف من مزارعي العرب وحرموا العمال العرب من موارد الرزق بل وكانوا يطردونهم بالقوة من ساحات العمل والرزق ، وامتلأت

---

(١) في الجزء الثالث من كتاب الحركة العربية للمؤلف تفصيلات عن الحركات الوطنية والكفاحية وعن ما كان الانكليز يقابلها به من مواقف انظر مثلا ص ٣٢ ــ ٥٥

فلسطين بموظفي الانكليز وبوليسهم لانجاح الحركة وحمايتها الى أن تقف على رجليها وبلغ ما يجبى من النفس في فلسطين من الضرائب المتنوعة ثلاثة أضعاف ما كان يجبى في الشام والعراق ومصر ليمكن سد النفقات الباهظة التي اقتضتها تشكيلات فلسطين وبوليسها • ثم جاءت فرصة الحرب العالمية الثانية فأتم اليهود بمساعدة الانكليز استعدادهم بالتحصين والتدريب والتسلح الواسع الذي أذهل العرب وأدهش العالم بمظاهره وآثاره ••

ومن ثورات العرب الكبيرة نوعا ما[1] ثورة البراق في صيف عام ١٩٢٩ هـ • والبراق هو مكان ملاصق لحائط المبكي الذي هو جدار الحرم القدسي الشريف والذي اعتاد اليهود أن يقوموا عنده ببعض طقوسهم • فقد أخذ اليهود يكشفون عن طموحهم الى امتلاكه بل والى امتلاك الحرم الشريف في المستقبل • وقاموا في سنة ١٩٢٩ بأعمال استفزت المسلمين فقابلوهم بالمثل كذلك ولم يلبث الطرفان أن اشتبكوا في القتال في القدس ثم سرت الحركة الى الخليل ويافا وصفد وقتل وجرح

---

(١) سجل العرب قبل هذه الثورة ثورات صغيرة عديدة في القدس ويافا ونابلس بل كانت ثورة يافا عام ١٩٢٠ كبيرة نوعا ما حيث امتدت الى ما في خارجها من مستعمرات وقرى وبلغ عدد ضحاياها نحو مئة قتيل وجريح .

من الطرفين نحو ثمانمائة أكثرهم من اليهود . وأرسلت الحكومة الانكليزية لجنة تحقيق برلمانية برآسة شو الذي عرفت باسمه حققت في أسباب الحركة القريبة والبعيدة واعترفت في تقريرها بما كان من استفزاز اليهود كأسباب مباشرة ، وما كان من شعور انعرب بالسخط على السياسة الانكليزية اليهودية التي حرمتهم من الاستقلال والحكم الوطني وسهلت لليهود شراء مئات آلاف الدونمات وتشريد مزارعيها عنها دون تعويض وحماية حتى أدى الامر الى نقص ما ظل في يد العرب من ارض عن كفايتهم الضرورية ، واهمال مصالحهم اهمالا تاما ومحاباة اليهود وحماية مصالحهم بكل وسيلة كأسباب غير مباشرة جعلتهم يرون مستقبلهم مظلما مخيفا . ووصت بوجوب الاهتمام لازالة مخاوف العرب وشكاويهم السياسية وغير السياسية ودرس مشاكل الهجرة والعمال والاراضي[١] . وأرسلت الحكومة الانكليزية خبيرا كبيرا اسمه سبمسون أيد بعد دراسة طويلة وعميقة شكاوى العرب وأثبت بالارقام نقص الاراضي الباقية في أيديهم عن كفايتهم وحرمان المزارعين من الحماية والتعويض وحرمان العمال العرب من مجال ارتزاقهم التي كانت لهم بسبب

---

(١) في مجلد المجموعة الاولى من وثائق فلسطين الرئيسية خلاصة عن هذا التقرير ص ١٦٠ ـ ١٦١ فضلا عن انه نشر رسميا بكامله باللغة العربية .

مزاحمة عمال اليهود وتلاعب الوكالة اليهودية في مسائل الهجرة والعمال . ووصى بوقف كل ذلك[1] . وأصـــدرت الحكومة الانكليزية كتابا ابيض سنة ١٩٣٠ اعترفت فيه بحقائق التقارير المخزية ووعدت بتلافي الاخطاء فثارت ثائرة اليهود في فلسطين وسائر انحاء العالم فلم تلبث هذه الحكومة أن نقضت كتابهـــا وأعلنت عزمها على الاستمرار في سياستها ارضـــاء لليهود دون مبالاة بالعرب والحقائق الدامغة[2] . وبالاضافة الى هذا فانها سمحت لليهود باقامة حاميات في مستعمراتهم وسلمتهم سلاحا بحجة الدفاع عن أنفسهم نزولا على توصية لجنة شو . أي أنها نفذت ما وصته هذه اللجنة لصالح اليهود وضربت بما وصت به لصالح العرب عرض الحائط .

— ٤ —

وكانت حركة هتلر في المانيا ضد اليهود بدأت تقوى فاستغلها

---

(١) في المجموعة الاولى من الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين خلاصة لهذا التقرير ص ١٦٤ ــ ١٦٦ وقد نشر كاملا باللغة العربية ايضا .

(٢) الكتاب الابيض في الجزء الثالث من الحركة العربية الحديثة للمؤلف ص ٢٧٧ ــ ٣٠٠ انظر أيضا الصفحات ٥٥ ــ ٧٠ من الجزء المــذكور حول ثورة ابراق وتقـــارير اللجـــان ونكوس الحـــكومة الانكليزية .

اليهود وجعلوا الحكومة الانكليزية تفتح أبواب فلسطين على مصراعيها لمهاجري الالمان ثم لكتل كبيرة من العمال من بولونيا ورومانيا وبلغاريا وروسيا بحجة العمل في المشاريع الزراعية والصناعية والعمرانية التي سوف يقوم بها اغنياء الالمان فتدفق نتيجة لذلك خلال أربع سنين ١٩٣١ ــ ١٩٣٥ مئتان وخمسون ألف يهودي في حين كان عدد المهاجرين في المدة السابقة ١٩١٨ ــ ١٩٣١ نحو مئة الف ! وقد هال العرب هذا السيل الجارف وصار كل فرد منهم يلمس الخطر الرهيب لمسا شديدا فأخذوا يشتدون في الاحتجاج وطلب منع الهجرة وبيع الاراضي فلم تبال السلطات الانكليزية فقاموا في خريف عام ١٩٣٣ بمظاهرات صاخبة بدون اذن رسمي تحديا لهذه السلطات وكان يشترك فيها الزعماء والعلماء والرهبان بالاضافة الى جماهير الشعب الغفيرة من المسلمين والمسيحيين والمدنيين والقرويين . وقد وقع بين المتظاهرين وقوات السلطات اشتباكات دامية اصيب فيها عدد كبير منهم ومن القوات واعتقلت السلطات وحاكمت عددا كبيرا من الزعماء للارهاب ثم استمرت على سياستها الجائرة[1] .

وقد صار يقوم في هذه الاثناء جماعات جهادية سرية تتسلح على حسابها وتفتك بمن تقدر عليه من اليهود والانكليز والسماسرة

---

(١) انظر تفصيلات ذلك في الجزء الثالث من كتاب الحركة العربية ص ١٠٦ ــ ١١٥

والجواسيس ثم خرجت اولى كتل هذه الجماعات للجهاد جهارا بقيادة الشهيد الشيخ عز الدين القسام في خريف عـام ١٩٣٥ واصطدمت مع قوات السلطات التي تغلبت عليها وقتلت زعيمها وبعض رفاقه واعتقلت باقيهم فكان لهذه الحركة أثر كبـير في اثارة الحماس العربي • ووقع بعد قليل بعض حوادث استفزازية من اليهود قابلها العرب بالمثل ثم اعلنت مدينة يافا التي وقعت فيها هذه الحوادث الاضراب في نيسان ١٩٣٦ وسرى ذلك الى باقي البلاد ثم تم الاتفاق بين رجال الحركة في المدن على استمرار الاضراب الى أن توقف الهجرة وبيوع الاراضي وتقوم حكومة وطنية •

وقد استمر الاضراب ستة أشهر طويلة وقفت خلالها جميع الاعمال في المدن والقرى والمواصلات والمدارس فكان اضرابا عظيما لم يسبق له مثيل في قوته وطول مدته والتضحيات التي تحملها الشعب العـربي من جرائه • وتألفت لجنة عربية عليـا ضمت جميع الاحزاب[1] لادارة الحركة فكان ذلك مما اسبغ على المـوقف الخطورة والرهبة والجد والشمول • وقد قـرر العرب الامتناع عن دفع الضرائب دلالة على التصميم والتحدي

---

(١) كانت اللجنة برآسة الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى وممثل من كل حزب من الاحزاب الستة التي كانت في فلسطين وممثلين للطوائف المسيحية وشخصية اقتصادية كبيرة محايدة .

ونفذوه وأغضت السلطات عن ذلك تفاديا من تفاقم الموقف ولا سيما ان الاسواق والاعمال كانت متوقفة ..

ولم يكد يمضي على الاضراب شهر حتى أخذت الجماعات العربية تقوم بحركات ثورية . وقد بدأ ذلك بالقاء المفرقعات وتقطيع الاسلاك وتعطيل الطرق والمعابر ورجم البوليس والمخافر ثم تطورت الحركة فأخذ يظهر في الطرق والجبال وضواحي القرى والمدن عصابات مسلحة تهاجم الدوريات والمخافر وقوى السلطات والمستعمرات اليهودية ، واتسع نطاقها بالتدريج حتى شمل جميع فلسطين . وغدا جوها حربيا بما كان من كثرة تنقلات القوات الانكليزية ودورياتها ودباباتها ومصفحاتها ودوي المفرقعات والقنابل وأزيز الرصاص الذي لم يكن ينقطع ليلا ونهارا ، والحرائق ونسف القطارات والجسور والمعابر وكان يرافق مطاردة السلطات للعرب وتفتيشها الاحياء والبيوت وقمعها للمظاهرات عنف وقسوة فكان ذلك مما يزيد النار ضراما ولهيبا بدلا من أن يخمدها . وكان مما يزيد النار لهيبا كذلك ما كان يبدو من السلطات من محاباة سافرة لليهود ضد العرب فيما كان يقع بين الفريقين من احتكاك واصطدام . وقد اضطر اليهود الى تسيير سياراتهم في قوافل تحرسها قوات الحكومة لأن أكثر الطرق كان تحت سيطرة العرب . وقد سارت الحكومة على طريقة منع التجول منذ الغروب الى الشروق في المدن والقرى

حتى أصبح ذلك من الامور العادية • وكان المنع يمتد أحيانا على أثر المظاهرات الصاخبة والحوادث الدموية الكبيرة الى أن يكون ٢٢ ساعة في اليوم حيث يسمح للناس بالتجول ساعتين لقضاء حاجاتهم •

ولقد كاد يكون كل عربي في فلسطين مشتركا في الحركة رجالا ونساء وشبانا وشيوخا وأطفالا بشكل من الاشكال • فمن استطاع حمل السلاح حمله واستعمله • ومن لم يستطع ساعد الثوار في شراء العتاد ونقله وتقديم المؤونة والمال واحضار الماء والاسعاف والتحميس والترصد وتأديب الشاذين الخ • وقد رويت عن كل طبقة روايات ونوادر كثيرة في هذا الباب تثير الدهشة والاعتزاز في جرأتها ودلالتها •

وقد تحمل أهل البلاد جل نفقات الثورة من سلاحها الى عتادها الى مؤونتها الى وسائلها المتنوعة بما في ذلك جل نفقات من أسرع الى النجدة من الاقطار الشقيقة كأفراد ومجموعات • وهذا فضلا عما تحملوه من شدائد الاضراب وجهده وبطالته حتى ليمكن أن يقدر قيمة ما تحملوه بمليوني جنيه ونيف ولم تكن المساعدات التي وردت الى فلسطين الا جزءا يسيرا جدا قيمته الرمزية أعظم بكثير من قيمته المادية •

ومن المحتمل أن يكون عدد حملة السلاح قد تراوح بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠ مع التنبيه على فقدان أي نسبة تكافؤ وتماثل

بين سلاحهم وسلاح السلطات نوعا وكمية . وكان اكثر سلاحهم قديما ومختلف الطراز مع ضآلة العتاد وفساد كثيره وصعوبة الحصول عليه وغلاء ثمنه وكان كل ذلك مما يثير دهشة ضباط الانكليز.وكان أكثر الذين حملوا السلاح يحملونه ويستعملونه لأول مرة دون أي تدريب سابق . وكل هـذا يساعد على فهم قوة الروح الكفاحية التي تجلت في الامة وقوة الاندفاع والاقدام على التضحية .

ولقد أعلنت السلطات قوانين الطوارىء وعدلت العقوبات وحشدت قوات عسكرية كبيرة بقيادة قواد اشتهروا فيما بعد مثل ديل وكورت ودنفيل وبلـغ عدد من حشدتـه من قوات متنوعة خمسين ألفا واعتقلت المئات من الزعماء والشبان وفرضت الاقامة الاجبارية على المئات وكانت تفرض غرامـات مشتركة باهظة على القرى والاحياء فلم يكن من شـأن ذلك أن يوقف الحركة أو يمنع تفاقمها .

وبعد شهر ونصف من بدئها أخـذ يتسرب الى فلسطين من شرق الاردن وسورية ولبنان والعراق مسلحون ويقاتلون الى جانب اخوانهم ثم صار التسرب يقوى حتى غـدا في فلسطين مئات منهم وكان اليهود والانكليز يقدرونهم بالالوف . وجـاء على رأس فرق منهم ثلاثة من ابطال الثورة السورية وهم الشيخ محمد الاشمر وفوزي القاوقجي وسعيد العاص . وكانت منطقة

سعيد العاص الخليل بيت لحم القـدس حيث التف حوله ثوار أشاوس من فلسطين وغيرها تجاوز عددهم المئة وكان مساعده البطل الفلسطيني الشهيد عبد القـادر كاظم الحسيني • وقد استشهد سعيد وجرح مساعده بعـد أن أبلوا أعظم البلاء في معارك طاحنة كانت تمتد ساحتها أحيـانا بضعة كيلو مترات • وكانت منطقة الشيخ الاشمر وفرقتـه مثلث نابلس وخاصـة منطقة طولكرم وقد التف حوله مئات من ثوار المنطقة • وكان بلاؤهم عظيما • وقد ذهب من المجـاهدين السوريين ضحايا امتزجت دماؤهم بدماء اخوانهم المجاهدين الفلسطينيين في أرض الوطن المقدس • أما القاوقجي فقد جـاء من العراق على رأس حملة حسنة التنظيم والتجهيز نتيجة لجهود مساعي القائمين على رأس الحركة الجهادية في فلسطين ولمساعدة حكومة العراق التي كانت برآسـة المرحوم ياسين الهاشمي وكان فيهـا فريق من المجـاهدين العراقيين وآخـر من الدروز من جملتهم الشهيد حمد صعب وانضم اليهم بعض المجاهدين السوريين من جملتهم منير الريس وخالد القنواتي • وقد اتخذ مثلث نابلس وخاصة منطقة جنين منه ساحة لنشاطه ووزع يوم وصـوله منشورا بتوقيع فوز الدين القاوقجي قائد الثورة العـام دعا فيه الناس الى الالتفاف حوله والانضمام اليه وأعلن فيه عزمه على الاستمرار في النضال الى أن تتحرر فلسطين وتستقل • ولم يلبث أن أصبح

قطب رحى الثورة . وكان لقدوم حملته تأثير عظيم على عرب فلسطين فازداد حماسهم واندفاعهم وانتعشت آمالهم حيث أدركوا أن ثورتهم قد اتسمت بطابع الشمول العربي والنظام العسكري الفني . وكان لها تأثير عظيم كذلك على الانكليز واليهود الذين رأوا ان الخطب أخذ يتفاقم وان الثورة قد انتقلت الى مرحلة ثورية عامة ومنتظمة .

ولقد جرت معارك عديدة بين المجاهدين بقيادة القاوقجي والجيش الانكليزي فيمناطقبلعا وبيت أمرين ودير شرف وجبع وعزون كان الانكليز يحشدون لكل منها الآلاف من الجند مرفقة بالدبابات والمصفحات والطيارات وكثيرا ما كانت ساحة العمليات تمتد عشرة كيلو مترات وخمسة عشر . وكان في كل معركة يحتشد تحت امرة القائدالقاوقجي المئات وأحيانا الالوف مسلحين وغير مسلحين ومساعدين وممونين ومحمسين ثم تنتهي بانسحاب القوات الانكليزية حالما يخيم الظلام بعد ما يكون المجاهدون أوقعوا فيهم الخسائر وغنموا منهم الغنائم .

ولقد كان موقف الاقطار العربية وخاصة العراق والشام بما فيها الاردن ولبنان كريما في أزمة فلسطينوثورتها.فاهتمت أوساطها الوطنية وصحافتها اهتماما كبيرا وتألفت لجان سميت بلجان الدفاع عن فلسطين وأخذت تجمع التبرعات وترسلها الى فلسطين كما ان مدنها أضربت أكثر منمرة وقامتفيها المظاهرات

المتعددة تضامنا معا • ووصل الامر كما قلنا الى أن وفد الى فلسطين مجموعات من المجاهدين ليجاهدوا مع اخوانهم وبمزجوا دماءهم معا في سبيل عروبة فلسطين وحريتها واستقلالها وقد ساعد أبناء هذه الاقطار في تغذية الكفاح بما كانوا يرسلونه من وسائله الضرورية بقدر ما كانت تسمح به أحوالهم • ولقد بلغ عدد شهداء العرب وجرحاهم في هذه الثورة نحو الالف وبلغ عدد الحوادث الثورية المتنوعة نحو ستة آلاف • وبلغ عدد قتلى قوات السلطات وجرحاهم نحو خمسمأة وعدد قتلى اليهود وجرحاهم نحو ذلك • وبلغت قيمة خسائر اليهود المادية نحو مليونين وخسائر السلطات في أملاكها ونفقاتها الحربية ضعف ذلك على ما قدره المراقبون •

ولقد هال الموقف الانكليز واخذوا يبذلون مساعيهم ووعودهم لحمل العرب على فك الاضراب والكف عن الثورة ووعدوا بارسال لجنة تحقيق جديدة بصفة لجنة ملكية وتنفيذ وصاياها مهما كانت ووسطوا عاهل الاردن ثم عاهل العراق والرياض فرأى الملوك الثلاثة أن يختبر العرب الانكليز هذه المرة أيضا فاذاعوا على الشعب العربي نداءا طلبوا فيه الاخلاء للسكينة ووعدوا بمواصلة السعي لتحقيق المطالب العربية وأعلنوا ثقتهم بحسن نوايا بريطانيا ورغبتها التي أعلنتها في تحقيق العدل • وقد استجاب العرب للنداء وفكوا اضرابهم

وتوقفوا عن حركاتهم كهدنة موقتة مع استشعارهم بالنصر والعزة والقوة والحيوية والاستعلاء واحتفاظهم بسلاحهم .

وقد أذاع القاوقجي بصفته قائد الثورة العام بيانا شكر فيه أهل فلسطين على ما شاهده فيهم من بسالة وكرم وتضامن وقال انه انما توقف عن حركاته نزولا على نداء الملوك وانه هو والمجاهدون من فلسطينيين وغير فلسطينيين مستعدون لاستئنافها بعزم أقوى اذا لم تتحقق مطالب العرب وتضمن عروبة فلسطين واستقلالها وحريتها .

وكان وداع القاوقجي والمجاهدين العراقيين والشاميين حافلا بعشرات الالوف التي كانت تهزج وتطلق رصاص الفرح والاستعلاء . وسكتت السلطات على ذلك فجاء سكوتها مصداقا لحقيقة شعور العرب بالعزة والنصر[1] .

---

(١) في الجزء الثالث من كتاب الحركة العربية للمؤلف تفصيلات كثيرة عن حركة الثورة والاضراب وما جرى خلالها من احداث انظر ص ١١٥ ــ ١٤٤

٣ ـ التقسيم لاول مرة وقتله

ـ ١ ـ

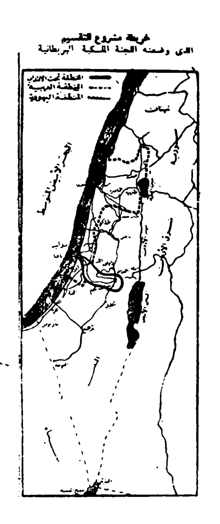
ولقد ارسلت الحكومة الانكليزية اللجنة الملكية التي وعدت بها والتي عرفت باسم لجنة بيل نسبة لرئيسها اللورد بيل • ولبثت نحو شهرين تستمع لممثلي اليهود والعرب والحكومة وتدرس أحوال فلسطين على الطبيعة ثم عادت الى بريطانيا • وفي تموز سنة ١٩٣٧ أصدرت تقريرها[١] الذي وصفت فيه تناقض التزامات الحكومة ووصت بنوعين من التوصيات وصفت احدهما انه مخدر ومسكن فقط وليس من شأنه أن يحل المشكلة المعقدة لان العواطف القومية عند العرب واليهود متناقضة مشتدة ووصفت ثانيهما بأنه العلاج الحاسم وهو تقسيم فلسطين• وقد اقترحت تقسيمها الى ثلاثة أقسام قسم يقوم فيه دولة يهودية ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة على غرار معاهدة العراق • وآخر يبقى تحت الانتداب الانكليزي وثالث يضم الى شرق الاردن وبتكون منهما دولة عربية ترتبط مع بريطانيا كذلك بمعاهدة

(١) خلاصة هذا التقرير الرسمية في الجزء الثالث من كتاب الحركة العربية ص ٣١٤ ـ ٣٢١ وقد نشر التقرير بكامله ايضا بالعربية .

مماثلة • وجعلت جميع الساحل من حدود لبنان الى مجدل عسقلان مع أعظم سهول فلسطين وأخصبها أي سارون ومرج ابن عامر والجليلين الشرقي والغربي من نصيب الدولة اليهودية ومناطق القدس وبيت لحم والناصرة مع ممر من القدس الى يافا يشمل قرى هذا الممر ومدينتي اللد والرملة والنقب منطقة انتدابية مع وضع مدن حيفا ويافا وصفد وعكا تحت انتداب موقت • وجعلت الباقي وهو صحراء النقب ومناطق الخليل ونابلس وطولكرم وجنين وبيسان ومدينة يافا من نصيب شرق الاردن • وكان كلام اللجنة عن اليهود ومصالحهم ومركزهم مبيئا بالمحاباة وقد جعلت قضيتهم هي المحور الذي تدور عليه قضية فلسطين !

ولقد بلغ عدد العرب في القسم اليهودي (٣٠٠٠٠٠) ومساحة اراضي العرب الزراعية (٣,٢٥٠٠٠٠) دونم وعدد اليهود فيه نحو (٣٠٠٠٠٠) ومساحة أراضيهم الزراعية نحو (١,٢٥٠٠٠٠) أي ان اللجنة أقامت الدولة اليهودية على أرض فيها للعرب ثلاثة أضعاف ما فيها لليهود وفيها من العرب مقدار ما فيها من اليهود • وكان ذلك منها مكرا لانها وصت بمبادلة السكان والاراضي لتجميع العرب في دولتهم واليهود في دولتهم مع انه لا يوجد من اليهود في القسم العربي الا (١٢٥٠) نسمة ومن اراضي اليهود فيه الا نحو مئة الف دونم ، حيث يبدو في

خريطة مشروع التقسيم
الذى وضعته اللجنة الملكية البريطانية



القسمة وتوصية المبادلة محاباة صارخة لليهود لتهيىء لهم مجال التوسع على حساب العرب ووطنهم . وكان معظم القسم العربي الذي يضم لشرق الاردن هو المناطق الجبلية المأهولة بالعرب والتي لم يكد يجد اليهود فيها موضعا لاصبعهم . وقد كمل الحرمان للعرب والمحاباة الصارخة ضدهم فيما ابقى للانكليز من مناطق انتدابية واسعة مثل منطقة القدس وما بينها وبين البحر من سهول وقرى ومنطقة النقب الخطيرة المركز من الناحية العسكرية والتعدينية ثم مدن عكا وحيفا التي تقع على خليج ممتاز المركز كان منذ الاصل هدفا من أهدافهم الستراتيجية ..

ولقد أصدرت الحكومة البريطانية بيانا[١] وافقت فيه مبدئيا على الاسس والاستنتاجات التي توصلت اليها اللجنة واعترفت بالتناقض البادي في التزاماتها المزدوجة وصعوبة التوفيق بين اماني العرب واليهود وقررت الاخذ بفكرة التقسيم لانه أفضل الحلول ، وارسال لجنة فنية لتركيز الحدود تركيزا فنيا .

وهكذا كشفت بريطانيا عن وجهها المنافق الغادر ورأت ان ما وصل اليه اليهود يكفي مبدئيا لتحقيق السياسة التي ترسمتها منذ البدء ضد الحركة العربية وأهدافها وخرز الخنجر المسموم في جنب الامة العربية وقطع أهم طريق يوصل بين أقطارها وجعل

---

(١) هذا البيان في الجزء الثالث من كتاب حول الحركة العربية ص ٣١٢ ـ ٣١٤

ربيبتها الدولة اليهودية عاملا فوق ذلك في اشغال العرب وارهاقهم وانهاكهم . وقد ضمنت خطة التقسيم الى هذا بقاء السيطرة العسكرية والاقتصادية سافرة ومستترة على جميع أقسام فلسطين وشرق الاردن لان هذا من تمام تلك السياسة المرسومة المجرمة لان المعاهدتين المقترحتين تضمنان وجودها العسكري وهيمنتها السياسية على دولتي اليهود والعرب .

ولقد هز اقتراح التقسيم العرب هزا عنيفا في فلسطين وخارجها وأخذت البرقيات من فلسطين تنهال على اللجنة العليا بالاستنكار والرفض والاستعداد لاستئناف الكفاح والتضحية حتى كانت كالسيل . وكان أشد الانحاء فزعا وسخطا الجليلان لما أدركه أهلهما من المصير المظلم الذي ينتظرهم بالتشرد والنزوح أو البقاء تحت ذل اليهود وارهاقهم . ومن الجدير بالذكر والاعتبار ان اللجنة الملكية زعمت في تقريرها كذبا ان أهل الجليلين كانوا أقل من غيرهم انقيادا للتحريض السياسي واكثر قابلية للتعاون مع اليهود تبريرا لجعل بلادهم من نصيب الدولة اليهودية مع انهم فيها الاكثرية الساحقة !

وكان صوت العراق وسورية خاصة الرسمي والحكومي من أدوى الاصوات وأشدها استنكارا وثورية . وقد قامت فيها المظاهرات الصاخبة وعقدت الاجتماعات الحاشدة . وقال رئيس وزارة العراق ان الحاكم الذي يقبل أن يتوج على شرق الاردن

مع ما بقي من أقسام فلسطين لا يقابل الا بالمقت والنبذ وانه سيكافحه بكل قوة كرئيس حكومة وكفرد عربي • وأضربت مدن شرق الاردن وقامت فيها مظاهرات صاخبة محتجة مستنكرة[1] • وارتفعت أصوات الاحتجاج والاستنكار من مصر وبلاد المغرب ولبنان والهند وغيرها بحيث كان الرفض والسخط شاملا لجميع العالم العربي والاسلامي معا •

وقد دعت لجنة الدفاع عن فلسطين في سورية الى مؤتمر عربي عام في بلودان فاستجاب للدعوة عدد عظيم من أعلام العرب وزعمائهم في مصر والعراق والحجاز وسورية ولبنان والاردن والمغرب وفلسطين مسلمين ونصارى وانعقد هذا المؤتمر في أوائل ايلول ١٩٣٧ فقرروا رفض التقسيم واعلنوا واجب الجهاد والاستعداد للتضحيات في سبيل الدفاع عن وحدة فلسطين وعروبتها وحريتها وأقسموا على ذلك في مظاهرة رائعة مثيرة وكرر الخطباء وأكدوا ان قضية فلسطين ليست قضية أهلها فقط بل هي قضية عربية هامة يتصل مصيرها بمصير جميع العرب

---

(١) كان لكلام رئيس الوزارة العراقية وحركة شرق الاردن مغزى خاص لان عاهل الاردن عبد الله بن الحسين تلقى التقسيم بالترحيب وحاول أن يقنع المعارضين في فلسطين بقبوله (انظر الجزء الثالث من كتاب حول الحركة العربية ص ١٥٢ – ١٥٣ و ١٥٦ – ١٥٨) .

وبلادهم ويهدد الخطر الذي يهددها جميع العرب والبلاد العربية حيث يبدو من كل ذلك انالعرب قد أدركوا في مختلفأقطارهم ما ينطوي في التقسيم وقيام دولة يهودية في جسم البلاد العربية من أخطار واضرار لجميع العرب وبلادهم •

وحاولتالحكومة الانكليزية أنتتصامم أمام هذه الاصوات الداوية • فأرسلت ممثليها الى جنيف لعرض التقسيم على لجنة الانتداب في عصبة الامم وأخـذ موافقتها عليها ولكنها لم تنل الموافقة المطلوبة وأجلت الى أن تقدم الحكومة الانكليزيةالتقرير الذي تضعه اللجنة الفنية •

ولقد أخذتالصحفالانكليزية واليهودية تحرض الحكومة الانكليزية علىاللجنة العربية العليا ورئيسها المفتيوقادة الحركة الوطنية ووصفهم بأنهم العثرة في سبيل حـل قضية فلسطين ، وأخذت الحكومة الانكليزية تستجيب للتحريض الـذي كان بايعازها على الاغلب ليكون ذريعة لهـا وقامت بحركة اعتقال ومحاكمة ضد بعض رجال الحركة لاتفـه الاسباب • وأخـذ هذا يؤدي الى اشتداد التوتر مع ارتفاع الاصوات باستئناف الجهاد • ولم يلبث الجو أن اكفهر حيث أقدم فدائي عربي على قتل حاكم الناصرة الانكليزي الذي كان سيء النية والتصرف نحو العرب وكان ملازما للجنة الملكية ومستشارا لها فاهتاجت السلطات اهتياجا شديدا وقامت بحركة ارهاب واعتقال واسعة

شملت عددا كبيرا من قضاة الشرع وعلماء الدين ورجال اللجان القومية وشبابها البارزين في مختلف مناطق فلسطين. واستنكرت اللجنة العربية العليا هذه الحركة وحذت حذوها اللجان القومية في مختلف مـــدن فلسطين فما كان من السلطات الا أن خطت خطوة ارهابية اخرى فأعلنت حل اللجنة العربية العليا واللجان القومية وعزل المفتي من رآسة المجلس الاسلامي الاعلى ورآسة الاوقاف واعتقلت ستة زعماء من فلسطين خمسة منهم أعضـــاء في اللجنة العربية العليا ــ وكان بقية أعضائها خارج فلسطين ــ واركبتهم بارجة حربية حيث ابحرت بهم الى سيشيل منفيين . وقد اعتصم المفتي بالحرم الشريف فلم تجرأ على اقتحامه واعتقاله فيه . وقامت حركة احتجاج واسعة على ما وقع وأخذت الدعوة تشتد الى الاضراب واستئناف الجهاد . وأضربت المدن وقامت فيها المظاهرات التي كان يقع فيها اشتباكات دموية واربد الجو وبدت فيه علائم الانفجار المتوقع من تقطيع اسلاك والقاء قنابل وتخريب طرق ونسف قطارات وتفجير بترول واطلاق رصاص على الدوريات وأخذت ترد على فلسطين امدادات عسكرية عاجلة وأعلن القائد العام ممارسته الحكم العسكري وأخذت القوات تترصد حدود فلسطين لمنع تسرب السلاح والمجاهدين كما أخذت تفتش عن الذين برزوا في الثورة السابقة من القواد المجاهدين المحليين ورجال الحركة الوطنية النشيطين لاعتقالهم وأخـــذ من

استطاع من هؤلاء ينطايرون الى سورية ولبنان والاردن حتى لا يحرموا حرية العمل في المرحلة الجهادية الجديدة التي هبت ريحها .

ولم تلبث الثورة أن انفجرت في أواخر ايلول عام ١٩٣٧ وقد امتدت هذه المرة الى ما بعد نشوب الحرب العالمية الثانية أي نحو سنتين ونيفا . وبدأت الحركات الثورية أولا في لواء نابلس الذي كان منطقة نشاط القاوقجي وفي الجليل ثم أخذ نطاقها يتسع الى أن بلغت ذروتها الرائعة التي شملت جميع ساحات فلسطين . وصار يقع بين جماعات المجاهدين وقوات السلطات المعارك التي كان أحيانا يحشد لها من جانب هذه القوات الآلاف المزودة بالطيارات والدبابات والمصفحات والمدافع ويحتشد لها من جانب المجاهدين المئات من دائميين ومنجدين يبدون اروع صور البسالة والاستماتة دون مبالاة بعدد العدو وعدده وفقدان التكافؤ فيها وبما يقع من غالي الضحايا . وكان المجاهدون هم المتحرشون دائما حيث كانوا يهاجمون المخافر والمعسكرات والمطارات والمحطات وقوافل السيارات فتسارع السلطات الى حشد الحشود والمطاردة والمصادرة . وكان المجاهدون يتمكزون حينما تحشد لهم السلطات القوات الكبيرة في الجبال والاحراش والهضاب والوعور بنظام بارع من تقسيمات صغيرة كارة فارة مما كان يضطر السلطات في أكثر

الاحيان الى سحب قواتها دون أن تنـال من المجاهدين نيـلا شافيـا .

ولم تكن حركات المجاهدين قاصرة على مصاولة السلطات وتخريب منشآتها ومرافقها والاشتباك مع قواتها بل كانت تشمل المستعمرات والحقول والبساتين والممتلكات اليهودية وجماعات اليهود أنفسهم بحيث لم يكد يمر يوم الا وتغزي مستعمرة من المستعمرات ويجري فيهـا تدمير وتحريق وقلع أشجار وقتـل خفراء الخ . وكانت تشمل كذلك انابيب النفط تخريبا وتفجيرا واشعـالا حتى قدرت الزيوت المنسابة في شهـرين من شهور صيف عام ١٩٣٨ باثنين وثلاثين ألف طن ..

ولقد وصل اتساع الثورة وصولتهـا الى تطويق المـدن واقتحامها ونهب دوائر البريد والمصارف وسلاح المخافر ودخول دور الحكومة ونهب غرفها وخطف بعض موظفيها وقتل بعضهم. ولقد دخل بعضهم دار حكومة جنين وصعدوا الى طابقها الثاني ودخلوا على حاكمها الانكليزي واطلقوا عليه النار فأردوه قتيلا ثم خرجوا ونجوا مع ما كان في الدار من حشود وجنود وبوليس. ولقد كانوا يغزون تل ابيب معصم اليهود في الليـل والنهـار ويطلقون الرصاص والقذائف على الافراد والسيارات ويشعلون النار في الدور والحوانيت ويلقون الرعب في قلوب سكانها حتى صار هؤلاء حينما يرون في تل أبيب جماعة تلبس العقال والكوفية

يتراكضون مذعورين خائفين . وكان هذا حال طبريا التي كان أكثر سكانها يهودا وقد دخلها المجاهدون فقتلوا وجرحوا نحو مئة من اليهود ودمروا وحرقوا كثيرا من حوانيتهم ودورهم وخرجوا كما دخلوا مهللين مكبرين ...

ومع أن أكثر المجاهدين من القرويين وهم الذين اضطلعوا بجل أحداث الثورة وبقيادتها فان النشاط الكفاحي في المدن لم يكن ضعيفا . فقد حمل السلاح كثير من أهلها منهم من استعمله في المدن في اغتيال أفراد السلطات واليهود وتخريب ممتلكاتهم ونهبها ومهاجمة المخافر والدوريات فيها ومنهم من استعمله تحت لواء قواد الثورة في السهول والجبال .

ومع أن جل المجاهدين من سواد الشعب فقد اشترك في الحركة الكفاحية في المدن وخارجها عدد كبير من الشبان المتعلمين تعليما متوسطا وعاليا .

وهذا بالاضافة الى ما كان من مساهمة غير الذين حملوا السلاح من أهل القرى والمدن في الحركة الكفاحية بصورة ما من تموين وتمويل وشراء سلاح وعتاد ونقله وتعضيد وتحميس واسعاف بحيث يمكن أن يقال ان جل أبناء الشعب على اختلاف طبقاته وفئاته قد اندمجوا في هذه الحركة .

. لقد أخذت الامدادات الانكليزية ترد الى فلسطين منذ بدء الثورة . وقد بلغ عدد قواتها وبوليسها نحو اربعين ألفا

مجهزة بأجهزة حربية قوية متنوعة . وقد جنــدت نحو عشرة آلاف بوليس اضافي عربي ويهودي لأعمال الحراسة حتى تتفرغ تلك القوات لمكافحة الثورة . ولكن ذلك لم يمنع الثورة من الاستمرار والاتساع .

ولقد عمدت بسبيل قمع الثورة الى أساليب كثيرة فيها من القسوة والعنف ما تقشعر له الجلود ولا يدخل في نطاق منطق حكومة وصية نحو شعب لايخفىعليها انه مظلوم وبقصد فرض دولة غريبة تعاديه في وطنه لتمشية سياسة استعمارية مجرمة . وكان من ذلك تعديل قوانين الطوارىء بحيث أصبحت حيازة رصاصات أو قطعة من سلاح تكفي للحكم بالاعدام أو المؤبد ، وأصبحت كل عمارة في مدينة أو قرية أو بيارة أو بستان عرضة للمصادرة والنسف والتدمير لمجرد صدور نار ما من جهتها أو وقوع حادث قربها حتى لقد بلغ عــدد الذين شنقوا (١٤٦) وتجاوز عدد المحكومين بمدد ابدية أو مديدة الالفين فيهم شيوخ طاعنون وفتيان ومراهقون وفيهم نساء ، وحتى لقد بلغ عــدد المنازل والحوانيت التي نسفت وهدمت وتصدعت نحو خمسة آلاف . وكان يرافق التحريات والتفتيشات في المدن والاحياء والقرى قسوة بالغة من تحطيم وتدمير وتحريق وجلد وتعذيب ونهب واتلاف متاع وانتهاك مقدسات . ولقد بلغ عدد من اعتقل مدة طويلة أو قصيرة نحو خمسين ألفا . وكان الاعتقال في البدء

فرديا ثم صار بالعشرات بل والمئات • ولم يندر أن سرح أشخاص ثم اعتقلوا ثانية وثالثة • وشملت حركة الاعتقال جميع الطبقات في المدن والقرى •

ومن طرق التعذيب التي كانت تعمد اليهـا السلطات ربط الجمـاعات التي تساق للاعتقال بالحبـال وتسيير الـدبابات والسيارا من أمامهم وخلفهم واجبارهم على الركض في الطرق لئلا يداسوا ••• وكان يأتي ثلة من الجيش الى قرية وقع عندها حادث ما فيصف قائدها شباب القـرية ويختار منهم واحدا أو أكثر فيطلق عليهم الرصاص دون محاكمة ولا تحقيق •

وقد كانت السلطات تفرض منع التجول على المدن والقرى والطرق وكثيرا ما امتد اياما ولم يندر أن امتد في بعض المدن. شهرين وثلاثة وأربعة • وعمدت الى انشاء مخافر اضافية في القرى التي تقع في منطقتها أحداث ثورية على نفقة السكان عقابا وارهابا حتى بلغ عددها مئة وخمسين • ولما لم يجدها هذا التدبير عمدت الى احتلال القرى والاحياء وقالت أنها قد أتت بتدبير حاسم ، غير أن ذلك لم يجدها ايضا • ومما عمدت اليه فرض خفـارة السكك الحديدية والخطوط التلفونية والبرقية على أهل القرى وتغريمهم ما يقع فيها من تخريبات • وفرض غرامات مشتركة على القرى والمدن والارجاء وجبايتها بوسائل العنف والمصادرة والتعذيب والنهب •

على أن كل ما اتخذته السلطات من اجراءات قاسية منكرة وحشدته من القوات المزودة بمتنوع وسائل التدمير لم يكن ليمنع الثورة من التغلب على ما اقيم في طريقها من عراقيل ومن امتدادها وشمولها ومن تسابق الناس الى صفوف الثورة وسد الثغرات التي تحدث بالقتل والجرح ومصادرة السلاح •

ولقد أذهلت الروح التي تجلت بهذه القوة والشمول والعلوية السلطات وجعلتها تقف مكتوفة اليد ، بل اضطرتها الى تخفيف غلوائها في الارهاب والمطاردة والعنف والاعتقال والتطويق لانها رأت نفسها أمام شعب جميعه ثائر والى تفادي غزوات المجاهدين وجرأتهم على قواتها ودوائرها فأغلقت عددا كبيرا من مراكز البرق والبريد ومخافر البوليس وكثيرا من دوائر الحكومة الاخرى في المدن الصغيرة كما ألغت سير القطارات والمحطات على بعض الخطوط في النهار وعلى جميعها في الليل • وحظرت على فصائل جيشها وبوليسها ودورياتها الخروج من الثكنات والقلاع وأطواق المعسكرات أو البقاء خارجها بعد الغروب • وكثيرا ما كانت تساير الموقف الصعب فتسلم جثث الذين ينفذ فيهم حكم الاعدام من المجاهدين لذويهم وتغضى عما يقام لهم ولشهداء المعارك من مواكب حاشدة ••

ولقد أنشأت سورا عظيما من الاسلاك الشائكة على حدود فلسطين الشمالية والشرقية لمنع قوافل السلاح والعتاد وجهزته

بالالغام ، فلم يكد ينتهي انشاؤه حتى أخذ ينهار أمام براعة الثوار وجرأتهم . وتعود القوافل الى حركتها داخلة خارجة . وقد انفجر لغم فقتل أحد المجاهدين فاكتشف المجاهدون بذلك وجود الالغام فبحثوا عنها ورفعوا كبسولاتها وصاروا يأخذون منها المتفجرات ويتزودوا بها في كفاحهم ..

ولق تسرب الى فلسطين وانضم للثورة وحركة الجهاد كثير من أهل شرق الاردن وسورية ولبنان ، غير أن قيادة الثورة في هذه المرحلة ظلت في يد قوادها الفلسطينيين الذين كان جلهم أو كلهم من القرويين .

وكانت ساحات الحركات بل ساحات فلسطين مقسمة الى مناطق في كل منها جبهة لها قيادة عامة ينطوي تحت لوائها فصائل عديدة لكل منها قائد خاص وكان للثورة مجلس أعلى من القواد المدنيين لتنسيق العمل والصلات . كما كان هناك لجنة مركزية للجهاد بفرعين واحد في سورية وآخر في لبنان يمدان الثورة بما كان يتيسر لهما من مال وسلاح وعتاد ومعدات ويوجهانها .

ولقد أصبح قواد الثورة الرئيسيون بالاضافة الى قيادة معارك الثورة الكبيرة وتوجيه الفصائل وادارتها وتدبير مختلف الشؤون الكفاحية بمثابة الحكام الاداريين أو الامراء الاقطاعيين. كل له منطقة معروفة الساحة والقرى ولهم أختامهم وأوراقهم

المطبوعة ونشراتهم وبلاغاتهم وكتابهم وحجابهم وحراسهم ومنفذوا أوامرهم . وكان الناس يعرضون عليهم مشاكلهم ويرفعون اليهم شكاويهم فيعقدون المجالس لحل ما يعرض عليهم من مختلف القضايا وينفذون أحكامهم بالسرعة ويجلبون الشهود والخصوم رضاء أو كرها ، وتزدحم معسكراتهم بالغادين والرائحين زوارا ومتقاضين ومستحببين ومتترحين ومشفكين ومنفذين ومتزلفين بالهدايا دون مبالاة بالسلطات وقواتها واجراءاتها[1] .

ولقد بلغت خسائر العرب في الثورة نحو عشرة آلاف ثلثهم شهداء ، وبلغ ما أنفقه أهل فلسطين على الثورة وقيمة ما خسروه من تخريب أملاكهم ما لا يقل عن أربعة ملايين جنيه. ولم يكن ما كانت تحصل عليه لجنة الجهاد المركزية من مساعدات مالية من خارج فلسطين ما يوازي عشر الحاجة . ولقد تكتمت السلطات في خسائرها وخسائر اليهود ، ولكن خسائرها لا تقل عن ١٢٠٠ بين جريح وقتيل على ما دلت عليه البوادر المتنوعة بالاضافة الى ما لا يقل عن عشرة ملايين جنيه نفقات وقيمة مرافق مدمرة . ولا تقل خسائر اليهود عن الف وخمسمائة قتيل وجريح

---

(١) في الجزء الثالث من كتاب الحركة العربية تفصيلات عن سير الثورة وحركاتها وقيادتها وقوادها انظر ص ١٨٨ ـ ٢١٧

وعما قيمته اربعة ملايين جنيه نفقات دفاع واسـلاك وخفراء ومرافق مدمرة مدمرة ، هذا فضلا عما منوا به من عطالة شديدة وغلاء باهظ وانقطاع سياح ومهاجرين واغنياء وتبرعات وعن حركة نزوح واسعة من فلسطين •

ولم تمض غير مدة يسيرة حتى أخـذ رد فعل الثورة يبدو على الاوساط الانكليزية بصورة متنوعة • فقد أخـذت بعض الصحف الانكليزية بما فيها التايمس وبعض رجـال الانكليز البارزين ومنهم يهود يرددون صعوبة تنفيذ التقسيم وخطورة عواقب اغضاب العرب والمسلمين ، وأخذت الارهاصات تكثر عن الرغبة في العدول عنه وايجاد حل على غير أساسه وتحديد الهجرة اليهودية ليظل العرب محتفظين بأكثريتهم • وأذاع وزير المستعمرات بيـانا ذكر فيه خبر تعيين اللجنـة الفنية وقال ان الحكومة لم ترتبط بمشروع معين ولم توافق على تهجير العرب من القسم اليهودي وان اللجنة اذا قدمت مشروعا عادلا وعمليا عرضته على عصبة الامم والبرلمان والا فانها قد تعود عن انشاء دولة يهودية الى حل مناسب آخر مما لمس فيه شيء من التراجع. ومما جعل العرب يزدادون قوة وحماسا وعزمـا على متابعـة الكفاح • وأخذت الصحف الانكليزية تلح على سرعة ارسال اللجنة وعدم انتظار هدوء الثورة لان العرب لن يهدأوا بالوعود والكلام ، فسارع الوزير الى الاستجابة الى ذلك وعجل فـي

ارسالها • وقد جاءت الى فلسطين في صيف عام ١٩٣٨ والثورة في أوج سلطاتها • ومكثت ثلاثة أشهر تدرس موضوع مهمتها على الطبيعة تحت الحراسة الشديدة ، ثم عادت وقدمت تقريرها الذي احتوى مشاريع ودراسات عديدة للتقسيم كما طلب منها من جهة ووجهة نظرها في المصاعب العظيمة السياسية والاقتصادية والجغرافية التي تنجم عن أي مشروع من مشاريع التقسيم من جهة اخرى • ولم تلبث الحكومة الانكليزية أن أصدرت بيانا أعلنت فيه اضطرارها بناء على ما جاء في تقرير اللجنة الى العدول عن فكرة التقسيم والبحث عن حل آخر يضمن لها وفاءها بالالتزامات المزدوجة نحو العرب واليهود معا واعتزامها دعوة الحكومات العربية وممثلي عرب فلسطين الى لندن للبحث عن حل مناسب •

وهكذا حققت الثورة غايتها المباشرة وهي قتل التقسيم ثم فتحت باب الامل بتحقيق الميثاق القومي بعد أن عجز الانكليز عن قمع الثورة واخماد الروح الكفاحية في أهل فلسطين •

ومما حدث وكان ذا مغزى عظيم في هذا الباب زيارة وزير المستعمرات فلسطين خلسة للاطلاع على الحالة عن كثب وقد أذاع الوزير أثر عودته خطابا قال فيه أن قمع الثورة ليس

بالسهولة المظنونة وأنها قد تستمر أمـدا غير قصير وان مركز انكلترة من أصعب المراكز .. وكان ذلك قبل اعلانه العدول عن التقسيم ...

ولقد كان اعلان الحكومة الانكليزية عزمها على اشـراك الحكومات العربية في بحث قضية فلسطين أثرا من آثار ما بدا من العرب حكومات وهيئات وافراد من اهتمام للقضية ومشاركة في الكفاح في سبيلها بالمال والدماء والسلاح والدعاية والمظاهرات والاحتجاجات والمواقف الدولية المتنوعة . واعترافا قويا بأن هذه القضية قضية عربية عامة لا يسع الانكليز تجاهل حق جميع العرب في الاهتمام لها والمشاركة فيها .

ولقد دعت الحكومة الانكليزية حكومات مصر والعراق والاردن واليمن والسعودية الى لندن لعقد المؤتمر[1] . وأرسلت هذه الحكومات ممثلين ممتازين لها وقبلت الحكومة الانكليزية مكرهة من انتدبتهم اللجنة العربية العليا لتمثيل عرب فلسطين بعد مداورات ومراوغات فاشلة . وحاولت هذه الحكومة أن تجعل المؤتمر عربيا يهوديا انكليزيـا فرفض العرب أن يجلس اليهود معهم فنزلت على رأيهم وعقدت مؤتمرين احدهما عربي

---

(١) لم توجه بريطانية الدعوة الى حكومتي سورية ولبنـان بسبب ممانعة فرنسة وما كانت تمر به سورية في هذا الظرف من محنة مع فرنسة .

انكليزي وثانيهما يهودي انكليزي ٠

وقد افتتح المؤتمر جلساته في أواخر كانون الثاني من عام ١٩٣٩ وتعددت جلساته ٠ وقد قبلت الحكومة الانكليزية في النهاية وجهة نظر العرب في حل القضية حيث وافقت على مبدأ انهاء الانتداب وقيــام دولة مستقلة في فلسطين بأكثرية الثلثين للعرب خلال فترة قدرت بعشر سنين مع احتمال تجديدهــا ٠ وقد أرادت أن تجعل ذلك منوطا بامكان قيام تعايش وانسجام بين العرب واليهود فلم يوافق العرب على ذلك لانهم كانوا على يقين أن اليهود سيضعون كل العقبات في هذا السبيل ، وأصر الانكليز على ذلك فأدى هذا الى انفضاض المؤتمر بدون نتيجة متفق عليها ٠

وقد أصدرت الحكومة الانكليزية في مايس سنــة ١٩٣٩ كتابا أبيض قالت انها وضعته على ضوء ما جرى في مؤتمر لندن وقد احتوى الاسس التالية :

١ ــ انالحكومة الانكليزية تعتبر نفسها قد وفتبالتزاماتها نحو اليهود حيث ساعدت على تحقيق قيام الوطن القومي بما صار لهم من عدد ومنشآتوكيان ٠ وانها تريد أن تسمح بهجرة خمسة وسبعين ألفــا يهوديا خلال خمس سنين حتى لا تتعطل حركة العمل اليهودي الراهن ٠ وانهــا متى تمت هذه الهجرة لا ترى نفسها تحت طائلة أي التزام لتسهيل الوطن القومي عن

طريق السماح بهجرة اخرى بالرغم عن رغبة العرب .

٢ ـ بما ان الانتداب من حيث أساسه موقت فان مصير فلسطين هو الاستقلال . غير ان هذا يجب أن يكون بالتشارك بين العرب واليهود ولا يمكن أن يتم الا اذا قامت الدلائل المقنعة على امكان التمازج والتعاون بينهما . ولذلك فانها ستجري تجارب ومراحل في هـذا الشأن خلال عشر سنين فاذا أسفرت عن قيام تلك الدلائل خطت الخطوة النهائية الى انهاء الانتداب واعلان الاستقلال والا فانها ستدعو ممثلي العرب واليهود ثانية للبحث في النتائج والتشاور في الخطوة الواجبة . وهذه التجارب والمراحل تبدأ حال ما تهدأ الاضطرابات بالتوسع في تعيين الفلسطينيين في الوظائف العليا واشراكهم في ادارة البلاد . وانها ستتخذ التدابير حالا لوضع تشريعات تحدد انتقال الاراضي العربية لليهود حتى تضمن عدم الاجحاف في كيان العرب واقتصادياتهم . وانها سوف تسير في التجارب والمراحل الى تحقيق هدف انشاء حكومة فلسطينية مستقلة سواء اغتنم العرب واليهود الفرصة أم لا[1] .

ولقد سارع رئيس الوزارة المصرية الى التصريح بأنه لا يستطيع أن ينصح عرب فلسطين بالرضاء عن الكتاب الابيض

---

(١) نص الكتاب الابيض في الجزء الثالث من كتاب حول الحركة العربية ص ٣٢٢ ـ ٣٣٤

ووقفت الحكومة العراقية والعاهل السعودي نفس الموقف .
ووضعت اللجنة العربية العليا ردا سجلت فيه على الحكومة الانكليزية تسليمها نظريا بمطالب العرب وانتقدتها على الاطلاق والغموض اللذين أحاطت بهما التجارب والمراحل وخاصة تعليق انهاء الانتداب وتأسيس الدولة على رضاء اليهود ورغبتهم في الاندماج في الخطة الاستقلالية لأن اليهود سيعملون كل ما يستطيعون لاحباط هذه الخطة . وقد أسرع اليهود فعلا الى تقديم الدليل حيث أعلنوا سخطهم على الكتاب الابيض وعزمهم على محاربته الى أن يحبط نهائيا .

ومهما يكن من أمر فان الكتاب الابيض قد سلم نظريا بمطالب العرب وصدق قضيتهم وماشى ميثاقهم شوطا غير يسير . وكان قبول الانكليز بمبدأ قيام دولة فلسطينية بأكثرية عربية في حد ذاته نجاحا عظيما . وقد عرضت الحكومة الانكليزية الكتاب الابيض على البرلمان وأخذت موافقته عليه فأصبح خطة رسمية لها ، وان كان من الحق أن نسجل ان ما انطوى فيه من تعقيد وغموض واناطة قيام الدولة برضاء اليهود وما بدا من الانكليز في أثناء الحرب وبعدها من مراوغات ومداورات ونكوص قد أثبت ان ما كان منهم انما كان مسايرة للظروف أكثر منه تسليما بالحق ورغبة في السير في طريقه ...

٤ ـ القضية الفلسطينية أثناء الحرب العالمية الثانية

ـ ١ ـ

النشاط اليهودي

لقد تيقن اليهود ان الكتاب الابيض مهما كان شأنه سيظل عقبة في طريق مطامعهم ولو موقتا . فكثفوا نشاطهم أثناء الحرب ضده مستغلين كل فرصة . ورأوا في مسايرة الحكومة الانكليزية ولو نظريا للكفاح العربي نكثا لهم وتحيفا على آمالهم من جهة ، وحدسوا أن يكون للولايات المتحدة الامريكية دور كبير ومؤثر في الحرب ونتائجها من جهة اخرى فكثفوا نشاطهم فيها . وقد استغلوا خاصة ما أخذ يقع على يهود أوروبا الوسطى والشرقية من ضغط ومطاردة فاستطاعوا بما لهم من نفوذ متغلغل في دوائرها أن ينالوا تأييدا قويا من عدد كبير من أعضاء الكونغرس حيث قدموا طلبا الى رئيس الجمهورية بتبني القضية

الصهيونية والعمل على الغاء سياسة الكتاب الابيض وفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية حرة واسعة وتحقيق الوطن القومي بمعناه الشامل • وقد أخذوا يعلنون على أثر ذلك مطامعهم في جميع فلسطين وشرق الاردن وسورية ولبنان ليمكن حشد اليهود المضطهدين فيها ••

ولقد اغتنموا في سنة ١٩٤٤ فرصة انتخابات الرآسة فبذلوا جهدهم حتى جعلوا الحزبين المتنافسين يتباريان في الوعود والتصريحات بجعل مطالب اليهود أساسا من اسس سياستهما • ولقد استخدموا أثناء معركة الانتخابات آلافا من الخطباء فيهم جمهرة كبيرة من القسيسين ليطوفوا في الولايات المتحدة ويخطبوا في مجتمعاتها وأنديتها وهذا فضلا عن الحملات الدعائية المتوالية في الصحف ومحطات الاذاعة التي كان اليهود يملكون أو يسيطرون على عدد كبير منها ان لم يكن على معظمها فاستطاعوا بذلك أن يملأوا أذهان سكان الولايات المتحدة مما كان من أثره قرار واحد وثلاثين مجلسا من مجالس الولايات المتحدة تمثل ٨٣٪ من سكان الدولة وجوب تأمين الهجرة اليهودية الحرة الواسعة الى فلسطين وانشاء الدولة اليهودية فيها ثم مما كان من أثره في موقف حكومة الولايات المتحدة ورئيسها الشرير ترومان ومجلس كونغرسها في سنة ١٩٤٦ وما بعدها ذلك الموقف الفظيع من المحاباة ومجافاة كل حق ومنطق وشرف

ومما كان من أثره كذلك ما انهــال وما يزال ينهال على الدولة اليهودية منذ قيامها من مئات بل آلاف ملايين الدولارات ومــا ظلت الولايات المتحدة تبذله لها من تأييد وحماية ..

ولم يكن نشاط اليهود في بريطانيا والاوساط العالمية الاخرى يسيرا أيضا . فقد انعقد مؤتمر النقابات العمــالي العــالمي في سنة ١٩٤٥ فاستغلوه واستطاعوا أن يظفروا منه بقرار بوجوب مساعدة اليهود على الهجرة الى فلسطين وانقاذ من نجا منهم من الموت والهــلاك ونالوا مثل ذلك من مؤتمر الدول الاميركية الشمــالية والجنوبية الــذي انعقد في نفس السنة في مكسيكا وبذلوا جهودهم في داخل حزب العمال الانكليزي حتى استطاعوا أن يحملوا لجنته التنفيذية على تبني سياسة قيــام دولة يهودية في فلسطين وتوسيع حدودها حتى تتسع لاكبر عدد من اليهود وترحيل العرب عنها ، وبذلوا جهودهم في داخل حزب الاحرار الانكليزي حتى استطاعوا أن يحملوا مؤتمره على تبني هدف الغاء الكتاب الابيض وفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية واسعة. وعقدوا مؤتمرات يهودية في انكلترة وفرنسة وايطاليا وغيرهــا حملوا فيها على الكتاب الابيض وطالبوا بالغائه وانشاء الدولة اليهودية ...

ولم يقتصر نشاطهم على مجال الدعاية السياسية . فقد كانوا يقولون ان ما أحدثته الثورة العربية يجب أن يزول بثورة يهودية

وأخذوا على أنفسهم الاستعداد لذلك فاستغلوا حرج الجبهة المصرية فحملوا بريطانيا على تحصين فلسطين وتقوية قوة الدفاع اليهودية فيهـا تسليحا وتدريبا ونجحوا في ذلك نجاحا باهـرا ظهرت آثاره فيما كان من تحصينات عظيمة على حدود فلسطين الشمـالية والجنوبية وفي مخازن السـلاح التي انشئت تحت الارض في المستعمرات والاحيـاء اليهودية والتي كانت ملأى بكميات كبيرة من المدافع اليدوية والبنادق والمسدسات والعتاد والمتفجرات وفي ما كان من تنظيم الهاجانا اليهودية (قوة الدفاع أو الجيش الذي كان تابعا للوكالة اليهودية ثم صار جيش الدولة الرسمي) وتدريب العدد الكبير من شباب اليهود وشاباتهم • وكان من فرصهم تنقلات الجيوش البريطانية وخاصة الكتائب البولونية حيث كانت تضم عددا كبيرا من ضباط اليهود وأفرادهم فكانوا يبثون فيهم الدعوة ويحملونهم على الفـرار من فرقهم بسلاحهم وانضمامهم الى قوة الهاجانا والاستفادة منهم في تدريب شبانهم وشاباتهم •

ولما اقترب نهاية السنين الخمس المحددة في الكتاب الابيض لوقف الهجرة نهائيا ورأوا ان الحكومة الانكليزية مـا زالت تتظاهر بتمسكها بهذا المبدأ تحسبا من العرب في أثناء الحرب الذين كانت بلادهم فيها من المـراكز الاستراتيجية والتموينية الخطيرة قرروا أن يرغموها أو بكلمة اخرى أن يساعدوها على

التخلي عن هـذا المبدأ فكانت ثورتهم التي أعدوا لهـا العدة العظيمة في أوائل عام ١٩٤٤ ونقـلوا بهـا قضيتهم الى مجال الكفاح الدموي •

ولقد آذنوا بثورتهم بمنشور موقع باسم الجمعية العسكرية اليهودية يعلنون فيها بدء معركة فتح أبواب فلسطين لليهود • وقد استمرت ثورتهم ثلاث سنين ونيفا الى خريف عـام ١٩٤٧ وكانت تقف أحيانا خلالهـا وقفات استجمام وترقب • وكانت عنيفة محكمة التنظيم مع التنبيه على انها لم تكن ثورة دائمة ذات عصابات مسلحة مستمرة النشاط كما كانت ثورة العرب بل وقائع وهجمات ترتب وتنفذ ثم تقف لتستعد لوقائع وهجمات اخرى أو لتستلي الظروف والاحداث • وكان الذين يقومون بها لا يلبثون أن يعودوا الى أعمالهم العادية أو الى أندية التدريب والمعسكرات المنتشرة في المستعمرات • وقد أذاعوا نشرة مفصلة باسـم الجمعية العسكرية ووزعوها في مختلف أنحاء الارض وصفوا فيهـا تشكيلاتهم وقواهم وفروعهم وقالوا ان غايتهم انشاء مملكة يهودية كبرى في وطنهم التاريخي الكبير الممتد من الفرات الى النيل •

وقد بدأوا حركاتهم بتدمير دوائر الهجرة في مدن القدس وحيفا وتل أبيب بقنابل مجهزة بالساحات في وقت واحد كبراعة استهلال كان لها آثار تدميرية عظيمة ثم أخذوا يقومون بحركات

متنوعة محكمة منها أعمال تدميرية مثل هـذه ومنها اعتداءات على المخافر والمحطات والجسور والمطارات والمخازن والقطارات كما كان منها اشتباكات مع البوليس واغتيالات ضباط وافراد انكليز الخ . ومن أحداث الثورة الكبرى تدمير فنـدق الملك داود الذي كان مقرا لدوائر رئيسية من دوائر الحكومة وقتل وجرح أكثر من مئة موظف من موظفيها فيهـا . وقد حاولوا نسف كنيسة المطران في القدس يوم أحد حيث كان الموظفون الانكليز يذهبون للصـلاة وقد اكتشف القنبلة المدمرة قبـل انفجارها . ونصبوا كمينا للمندوب السامي وأطلقوا على سيارته الرشاشات فاصيبت زوجته بجراح وقتل حاجبه وسائق سيارته . واغتالوا اللورد موين الوزير البريطاني في الشرق الاوسط في مصر . ونسفوا جميع الجسور التي تربط فلسطين بسـورية ولبنان وشرق الاردن ومصر جوابا على نشاط الجامعة العربية في سبيـل قضية فلسطين سنة ١٩٤٦٦ وتحديا للامة العـربية جميعها . وتمكنوا من نهب كميات كبير من سـلاح السلطات ومتفجراتها ومخزونات مخازنها المتنوعة . وخطفوا عـددا من ضباط الانكليز وقضاتهم وبوليسهم وجنودهم وشنقوا بعضهم وجلدوا بعضهم . وهددوا بنقل نشاطهم الى بريطانيا واغتيال رجال الحكومة العسكريين والمدنيين بل لقـد خطوا خطوات وقاموا بمحاولات عديدة بسبيل ذلك .

ومع ان الانكليز في فلسطين ولنــدن تظاهــروا بالسخط والغضب وأخذوا ينذرون اليهود ويهددونهم . وكان مما يزيد في مرارتهم وسخطهم أن يقوم اليهود بثورتهم أثناء انشغالهم في حرب مدمرة وأن ينسوا كل ما فعلوه معهم من جميل داسوا في سبيله كل معاني الشرف والحق والعدل فان النتائج التي تنجت عن هذا السخط والغضب كانت تافهة لا يمكن أن يعقــد أي مقايسة بينها وبين ما كان من الانكليز ضد العرب أثناء ثورتهم حيث كانوا يخسفون الارض عليهم لاحداث أتفه مظهرا ومدى من الاحداث التي اقترفها اليهود . فاغتيال حاكم الناصرة مثلا جعلهم ينسفون المجلس الاســلامي ويعزلون رئيسه ويلغــون اللجنة العربية العليا واللجان القومية وينفون الزعماء الى سيشل ويعتقلون المئات من العلماء والزعماء ورجال الحــركة برغم انه لم يكن لهم صلة مباشرة ولا غير مبــاشرة بالاغتيال . وكانت القرى والاحيــاء والمنازل بل والمدن تنسف ومئات الرجــال يساقون الى المعتقلات وآلاف الجنيهات تفرض غرامات والقرى تحتل والمخــافر تنشأ على حســاب أهل البــلاد والتفتيشات والمصادرات تقع مترافقة بأقسى ضروب الشدة والعنف والسلب والاذى وانتهاك الحرمات بسبب وقوع حادث ما في حين ان كل ما كان من الانكليز بسبب كمين المندوب السامي فرض خمسمأة جنيه على حي يهودي ثبت انه آوى عصابة الكمين ثم أهمــل

استيفاؤها . ولم يحكم بالاعدام على الذين كانوا يعتقلون بالجرم المشهود ويصادر منهم ومن مساكنهم كميات السلاح الكبيرة والوثائق الخطيرة التي تثبت مسئوليتهم عن القتل والتدمير الا بضعة أشخاص مضافا اليهم بضع عشرات حكموا بالسجن مع المعاملة الممتازة التي تضمن الرفاه واعتقال بضع مدنيين .. ولم يكن ليخطر على بالهم حل منظماتهم وهيئاتهم ووكالتهم التي ثبت قيامها بأعمال التدمير بالوثائق الدامغة . ولقد كانت السلطات تقوم بأعمال المطاردة والتفتيش فكانت تسير على غاية الحذر والرقة وتحرص على أخذ شهادة من مخاتير المستعمرات بأنه لم يرافق التفتيش شيء من العنف . ومع انهم يعلمون انه يوجد في كل مستعمرة وفي كل حي يهودي مخزن سلاح ومعسكر تدريب وكان كل هذا معدا لقتل أبنائهم وتدمير مرافقهم فانهم لم يجدوا في ضبطها ومصادرتها . ومع ان الحكومة الانكليزية قد اصيبت في هيبتها بما لم تصب به قط ونالها من الاهانات ما لم ينلها قط واستبيح دماء أبنائها واغتيل وزراؤها وكبار موظفيها وشنق جندها وخطف قضاتها وجلد ضباطها وهدد أمن جيوشها ومجهودها الحربي في أثناء اشتباكها في حرب طاحنة فانها لم تجعل للجيش يدا في قمع الثورة خلافا لما كان منها مع الثورة العربية وكانت قادرة على ذلك كل القدرة على ما جاء

في تقرير رفعه المندوب السامي واذيع في لنـــدن في سنة ١٩٤٦ بأنه لو سمح بتدخل الجيش لكان في الامكان قمع الثورة خلال أربع وعشرين ساعة ... وهكذا رضيت بريطانيا (العظمى) باستمرار شرب هـــذه الكأس المرة والمحنة القاسية والاهانات سنتين طويلتين الى حين نشر التقرير ثم سنة ونصفا بعده تفاديا من أن تظهر لليهود من الشدة ما يرعبهم ويفزعهم ويفرغ ايديهم مما امتلأت به من سلاح وعتاد . وليس هـــذا فقط بل ظلت مستمرة على محاباتهم في فلسطين وتنويتهم صناعيا واقتصاديا واستعماريا والاغضاء عن مـــا اقترفوه من حيل ضـــد قوانين الاراضي ، في حين كانت وظلت تجحف في حق العـــرب في كل ما يتصل بالاستيراد ورخص السلع وتوزيعها . وكل هذا لأن وجود اليهود في فلسطين وقوة مركزهم متصلان بصميم مصلحة الانكليز الاستعمارية التي اعتادوا أن يجعلوها فوق أي اعتبار ولا يجعلوا للعاطفة أي تأثير فيها .

ولقـــد حقق اليهود بثورتهم ما أرادوه من نسف سيـــاسة الكتاب الابيض سنة ١٩٤٦ حيث ســـارع الانكليز الى نفض يدهم منه وفتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية حالما بدا لهم الأسباب الضـــاغطة التي كانت تحملهم على التظـــاهر بالحذر لتفـــادي اثارة العرب قد زالت بانتهـــاء الحرب . واشترك في

الجريمة حتى بدا انه المؤثر الاقوى فيها ترومان رئيس الولايات المتحدة بتأثير حملات اليهود ودسائسهم ونفوذهم[١] .

(١) في الجزء الرابع من كتاب حول الحركة العربية تفصيلات وافية عن نشاط اليهود وحركاتهم وثورتهم ص ٥ ــ ٢٣

نشاط العرب أثناء الحرب

ـ ٢ ـ

ولقد نشط العرب أيضا في أثناء الحرب في سبيل قضاياهم وخاصة قضية فلسطين . ولكن كل هـذا النشاط أو جله كان وقائيا ان صح التعبير حيث كان نشاط اليهود العظيم في جميع الساحات وآثاره المتنوعة توحي بالخطر والخطورة ، حيث كانوا كل ما بدا من اليهود نشاط أو كلما أدى نشاطهم الى نتيجة ما بدا عليهم القلق والاضطراب وسارعوا الى الاستنكار والاحتجاج وكان يشترك في ذلك حكوماتهم وبرلماناتهم وهيئاتهم . وقد ألفوا في سورية ولبنان والعراق ومصر لجانا سموها لجان مكافحة الصهيونية واندمج فيها رجال بارزون أخذت هي الاخرى تقوم بالدعاية وترسل المذكرات وترفع الصوت بالاستنكار والاحتجاج وعقد رؤساء بلديات فلسطين مؤتمرا قرروا فيه المطالبة بالسير في المراحل الموعودة في الكتاب الابيض . ولقد كانت قضية فلسطين مما شغل جزءا غير يسير في مشاورات

الوحدة العربية وفي نشاط الجامعة العربية التي انبثقت منها •
من ذلك تقديم الحكومات العربية مذكرات الى الحكومة
البريطانية تطالبها فيها بتنفيذ سياستها الموعودة في الكتاب
الابيض المؤدية الى قيام دولة فلسطينية موحدة • ومن ذلك
اختصاص فلسطين في ميثاق الجامعة ببند خاص نص على ان
استقلالها من الناحية الدولية أمر لا شك فيه اسوة ببلاد
العرب التي كانت تابعة للدولة العثمانية ونالت استقلالها ، وان
ذلك يسوغ اشتراك ممثلين عنها في مجلس الجامعة ونشاطها
وكان يرافق هذا النشاط تصريحات قوية رنانة من رجال العرب
الرسميين وساستهم تثير التفاؤل والامل•وشغلت قضية فلسطين
حيزا دعائيا غير يسير في المؤتمرات التي كان يعقدها المحامون
والاطباء في العواصم العربية • وحينما أعلن العراق الحرب على
المحور سنة ١٩٤٣ ذكرت الحكومة العراقية الحلفاء بوعودهم
وأبدت أملها في حل قضاياهم العادلة التي تأتي فلسطين في
مقدمتها • وفعل مثل ذلك العاهل السعودي حينما أعلن قطع
علاقاته بدول المحور أيضا • وكانت رحلة شرشل وروزفلت
الى الشرق العربي في سنة ١٩٤٥ وسيلة الى اجتماعات خطيرة
بينهما وبين ملكي مصر والسعودية ورئيس الجمهورية السورية•
وكانت قضية فلسطين ووجوب حلها حلا عادلا يتسق مع الوعود
المقطوعة والحقوق العربية الشرعية مما جرى فيه الاحاديث

التي علقت عليها الصحف بما يثير الامل والتفاؤل[1] .

غير ان هذا كله لم يكن ليؤدي الى النتيجة الايجابية المأمولة في حل هذه القضية لان وزن العرب كان على ضخامته النظرية ضئيلا وكان نفوذ اليهود ونشاطهم المضاد يحبط مساعي العرب فضلا عن ما كان الاستعمار يعلقه من آمال على الوجود اليهودي القوي في فلسطين التي تتعارض مع أي حل يقوم به دولة واحدة بأكثرية عربية دائمة . ولقد كانت الحرب فرصة عظيمة للعرب لحل قضاياهم حلا عادلا لو كانوا وكان رؤساؤهم أقوى بنية وأقل أنانية وأشد عزيمة وأوسع ادراكا لما كانت تتمتع به بلاد العرب من مركز استراتيجي خطير وما كانت تحويه من نفط وثروات ووسائل تموينية ضخمة .

ولقد ارتفعت أصوات رسمية وغير رسمية مطالبة بالوحدة العربية وقدمت في ذلك مذكرات . وصدرت تصريحات من وزير خارجية بريطانيا في سنة ١٩٤٣ مشجعة مؤيدة . وقامت المشاورات التي وصفت بصفة مشاورات الوحدة بين الحكومات العربية نتيجة لذلك . ولقد كان من الواجب والممكن أن ينتج عن ذلك كيان قوي متحد يغدو العرب في ظله وحدة عسكرية

---

(١) في الجزء الرابع من كتاب حول الحركة العربية تفصيل لما لخصناه من نشاط العرب . انظر ص ٢٣ – ٢٨

واقتصادية وسياسية لو أدرك رؤساء العـرب وساستهم قيمة الفرصة الذهبية السانحة ولم تعصف بهم الاعتبارات والاتجاهات الشخصية والمحلية الضيقة . ولكن هذه الاعتبارات أضاعت على العرب الفرصة الذهبية التي جاءتهم تجر أذيالهـا وكان من أثر ضياعها ما كان من كارثة فلسطين التي أذلتهم جميعا أمام أذل امم الارض وأفقدتهم كل معنى من معـاني الـكرامة والهيبة والحساب وجعلتهم سخرية الساخرين ..

٥ ـ بعد انتهاء الحرب والتقسيم للمرة الثانية

ـ أ ـ

ولقد ضاعف اليهود نشاطهم بعد أن وضعت الحرب أوزارها في سبيل فتح باب فلسطين للهجرة وانشاء دولتهم فيها وبينما استمرت ثورتهم المزعجة لتكون ذريعة للانكليز كانت مساعيهم في الاوساط الدولية وخاصة الاميركية والانكليزية عظيمة . ولقد استطاعوا أن يجعلوا رئيس الولايات المتحدة ترومان يتحمس لقضيتهم أشد حماس وأرعنه ويصدر التصريحات القوية في صدد الهجرة الواسعة الى فلسطين ويضغط على بريطانيا ضغطا شديدا ومزعجا بسبيل ذلك مخالفا لكل عرف وذوق دولي وقد استجابت بريطانية لضغطه وقررت تشكيل لجنة تحقيق انكليزية أميركية تبرر بها نكوصها ونكثها . وأهاج الموقف العرب فاستنكروا واحتجوا وعقد ملوكهم في مايس ١٩٤٦ مؤتمرا في انشاص كان لقضية فلسطين نصيب وافر من اهتمامه وتوجيهه

حيث قرروا وأعلنوا انهـا ليست قضية عرب فلسطين وحدهم وان على دول العرب وشعوبها واجب صيانة عروبتها وان فتح باب الهجرة يعتبر نقضا لما ارتبط به الشرف البريطاني • واجتمع مجلس الجامعة في بلودان في حزيران ١٩٤٦ اجتماعا خطيرا قرر فيما قرر استنكار فتح باب الهجرة واستنكار ما بدا من الولايات المتحدة ورئيسها من ضغط والحاح وطلب المفاوضة مع الانكليز لانهاء الحالة الراهنة في فلسطين وعرض قضيتها على هيئة الامم اذا لم تنته المفاوضة الى حل مرض واتخاذ الاسباب والوسائل الكفيلة بالدفاع عن فلسطين وصيانة عروبتها ومقاطعة الـدول التي تصر على محاباة اليهود ومماشاتهم في مطامعهم •

ولم تعبأ بريطانية والولايات المتحدة واستمرتا في خطتهما وأرسلتا لجنة التحقيق التي وصت بفتح باب الهجرة الى فلسطين وتهجـير المئة ألف يهودي الموجـودين في معسكرات أوروبا ونزلت بريطانية على رأيها ووافقت على هذه الهجرة ناكثة عهدها الذي قطعته في الكتاب الابيض • بل وطالبت العرب بالموافقة على ذلك رحمة بالانسانية المعذبة وتمشيا مع خلق الكرم الذي انصفوا به •• ثم دعتهم الى مؤتمر للنظر في القضية من جديد استجابة لطلبهم[١] •

---

(١) في الجزء الرابع من كتـاب حول الحركة العربية تفصيل اوفى لنشاط اليهود وآثاره ولنشاط العـرب واجتمـاع الملوك واجتماع مجلس الجامعة انظر الصحف ٣٤ ــ ٦٢

وقد انعقد المؤتمر فعلا في ايلول عام ١٩٤٦ وشهده ممثلون عن جميع الدول العــربية هــذه المرة وممثلون عن فلسطين . وقدمت الحكومة الانكليزية مشروعا لحل قضية فلسطين قائما على تقسيم فلسطين الى منــاطق يهودية واخــرى عربية حيث يتكثف كل من العرب واليهود وقيام حكومتين واحــدة عربية واخرى يهودية لادارة شؤون المناطق الداخلية والمحلية ، وقيام حكومة مركزية مختلفة تمثل اتحادا للحكومتين وتختص بشؤون الدفاع والعلاقات الخارجية والجمارك والهجرة على أن تكون الهجرة الى المناطق اليهودية منوطة بالاستيعاب الاقتصادي والى المناطق العربية منوطة بموافقة العــرب ، فكان هــذا المشروع تدشينا ثانيا لنسف الكتاب الابيض.وقد رفض العرب المشروع وقدموا بديلا منه مشروعا يقوم على أســاس اعــلان استقلال فلسطين دولة موحدة يحتفظ العرب فيها بأكثرية الثلثين مع ترك أمر الهجرة لحكومة هذه الدولة ووقفها فورا[1] .

وطلب الانكليز فرصة للدراسة فتأجل المؤتمر . وفي هــذه الفترة اجتمع مجلس الجامعة العــربية في تشرين الاول ١٩٤٦

(١) المشروعان الانكليزي والعربي في الجزء الرابع من كتاب حول الحركة العربية ٦٣ — ٦٩ .

فقرر الاحتجاج على الحكومة الانكليزية على سماحها باستمرار الهجرة وتغاضيها عن الهجرة غير القانونية وعن الثورة اليهودية وعدم الجد في قمعها ، وعلى الحكومة الاميركية لموقفها العدائي للعرب ومحاباتها المشجعة السافرة لليهود ، ورفض كل مشروع يرمي الى تقسيم فلسطين واحداث أي تعديل في كيانها . وكان هذا الرفض بصيغة قوية حاسمة حيث جاء فيها : ان مجلس الجامعة يؤكد من جديد عزم دولها على مواصلة الدفاع عن حقوق عرب فلسطين حتى يرجع الحق الى نصابه ، وانه لن يلين ولن ينثني عن عزمه على رفض أي مشروع من شأنه أن يؤدي الى تقسيم فلسطين وتأسيس رأس جسر صهيوني فيها كما انه لن يدخر وسعا في القيام بكل ما تتطلبه الظروف والاحوال للاحتفاظ بصبغة فلسطين العربية وباعتبارها جزءا حيويا من الوطن العربي الاكبر . وقد قرر فيما قرره توصية الحكومات العربية بمساعدة عرب فلسطين على اعداد أنفسهم للكفاح وتخصيص مبالغ كافية لذلك في موازناتها[١] .

واستأنف مؤتمر لندن جلساته في آخر كانون الثاني ١٩٤٧ فأعلنت الحكومة الانكليزية عدم امكان قبول المشروع العربي

---

(١) انظر تفصيلات أوفى لقرارات مجلس الجامعة في الجزء المذكور ص ٨٧ ــ ٩١

ـ مع انه قام على مبــادىء الكتاب الابيض ـ وكررت عرض مشروع قائم على التقسيم فيه بعض التعديلات فأصــر العربِ على الرفض • وحينئذ أعلن وزير الخــارجية الذي كان يرأس المؤتمر انتهاء المؤتمر وعزم حكومته على رفع الامــر الى هيئة الامم •



٦ ـ التقسيم للمرة الثالثة في هيئة الامم

ـ ١ ـ

وفي أول نيسان ١٩٤٧ أرسلت الحكومة الانكليزية مذكرة للامين العام لهيئة الامم بطلب عرض القضية في دورة خاصة . فدعا هذا الدول الاعضاء الى اجتماع غير عـادي . وانعقد في ٢٨ نيسان ١٩٤٧ وطالب العرب باعلان استقلال فلسطين وانهاء الانتداب فرفض الطلب وتقرر انتخاب لجنة للتثبت من الحقائق . وجاءت هذه اللجنة الى البلاد العربية واستمعت الى ممثلي العرب واليهود . وقد رفض العـرب أي نوع من التقسيم رفضا باتا وطالبوا باستقلال فلسطين وأنذروا باضطراب الامن اذا تقرر غير ذلك .

وعادت اللجنة فقدمت تقريرها . وقد انقسم الاعضاء الى فريقين فريق ذهب الى تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية مع قيام اتحاد اقتصادي بينهما . وفريق ذهب الى قيام حكومتين عربية ويهودية في مناطق الكثافة وحكومة مركزية مختلطة تمثل الاتحاد بينهما تختص بشؤون الدفاع والخـارجية والمصـالح

الاقتصادية المشتركة مع حصر الهجرة اليهودية بالمنطقة اليهودية في نطاق استيعابها الاقتصادي • ومشروع الفريق الثاني الذي كان يمثل الاقلية شبيه لمشروع الحكومة الانكليزية في مؤتمر لندن الذي رفضه العرب • وقد اشتملت الدولة اليهودية في مشروع الفريق الاول الذي كان يمثل الاكثرية الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والقسم الاكبر من السهول الساحلية ومعظم صحراء النقب ومساحة ذلك كله هي ١٤٢٠٠ كيلو متر مربع من أصل ٢٧٠٠٠ كيلو متر مجموع مساحة فلسطين • وعدد اليهود في هذه المساحة ٥٣٠ ألف وعدد العرب ٤٦٠ ألف والاراضي الزراعية العربية فيها تبلغ ثلاثة أضعاف ما لليهود من ذلك ! واشتملت الدولة العربية على الجليل الغربي ومناطق نابلس والقدس وغزة والخليل • وعدد سكان هذه المساحة ٦٥٠ الف عربي و ١١٠٠٠ يهودي وليس فيها لليهود الا نحو مئة ألف دونم أرض زراعية •

وقد اقترحت اللجنة ـ بفرعيها ـ أن تكون منطقة القدس دولية • وتشتمل على مئة ألف يهودي ومئة وخمسين ألف عربي •

وثارت ثائرة العرب من التقرير سواء منه ما كان من رأي الاكثرية أم الاقلية لأن كليهما مجحف براهن العرب وحقوقهم الشرعية وقائم على التقسيم الذي صمموا على رفضه تصميما باتا • وأعلنت الحكومات العربية رفضه وأخذت الاصوات



مشروع التقسيم حسب قرار الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧

المناطق البيضاء خصصت لليهود والمناطق السوداء خصصت للعرب

ترتفع بالدعوة الى المقاومة المسلحة لهـا . واجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية ثم مجلس الجامعة فقرروا رفض التقرير وطلبوا من جميع العرب الاستعداد لمقاومته بالقوة وقرروا تسليح أهل فلسطين ليكونوا طليعة المقاومة ، وحشد قوات من جيوش الحكومات العربية على حدود فلسطين لحماية سكانها من فتك اليهود الذين كان تفوقهم في الاستعداد والسلاح مؤكدا عند العرب جميعهم ، وانشاء قيادة عسكرية ولجنة فنية واقامة معسكر تدريب في دمشق وتشكيل جيش باسم جيش الانقاذ بقيادة فوزي القاوقجي للزحف على فلسطين .

ولما باشرت هيئة الامم النظر في قضية فلسطين وتقرير اللجنة بذل ممثلو العرب جهودهم في اسماع صـوت الحق والمنطق وتغليبه وبذل اليهود وأوليـاؤهم وخـاصة الولايات المتحدة الامـيركية ورئيسها ترومـان جهودهم لدوس الحق والمنطق وتمكنت هذه الجهة بوسائل الارهاب والاغراء والتضليل من الحصول على موافقة الثلثين على التقسيم وتدويل القـدس في ٢٩ تشرين الثاني لعام ١٩٤٧ وتعيين لجنة دولية للاشراف على تنفيذ القرار . وكان موقف بريطانية مليئا بالنفاق والمـراوغة والمكر . فقـد امتنعت عن التصويت ولكن كل من كان يدور في فلكها من دول الكومونولث وغيرها صوتوا مع التقسيم .

وقالت قبل التصويت انها لا تقبل أي قرار لا يرضى به العرب واليهود ثم نكثت قولها بعد القرار وأعلنت استعدادها لاحترامه والمساعدة على تنفيذه[1] ا .

---

(١) في الجزء الرابع من كتــاب حول الحركة العربية تفصيل لما لخصناه من وقائع هيئة الامم وتقرير لجنتها وقرارها النهائي ومواقف ترومان والحكومة الانكليزية الخ . ص ٩١ ــ ١١٧

٧ ـ بعد التقسيم

ـ ١ ـ

اكتسحت بلاد العرب غداة يوم التقسيم موجة من السخط والغيظ . وأعلن عرب فلسطين اضراب ثلاثة أيام كانت مظاهراتهم فيها صاخبة وصرخاتهم داوية وشاركتهم البلاد العربية في هذه وتلك. وهاجم المتظاهرون في دمشق المفوضية الاميركية ومكتب اصدقاء الاتحاد السوفيتي . لأن قضية تقسيم فلسطين كانت المعجزة التي جمعت بين الدولتين الكبريين المتنافرتين اما بتأثير اليهود واما بقصد اثارة الاضطرابات الدائمة في الشرق العربي. وأخذ الناس في فلسطين والبلاد العربية يتداعون الى الجهاد لمقاومة التقسيم . ولم توارب الحكومات العربية في موقفها بل تظاهرت مع الشعب فيما ابداه من سخط وغضب ودعا اليه من عمل حاسم بل وكان بعض رؤساء الدول والحكومات يخطبون في المتظاهرين خطبا قوية تنم عن ما داخلهم هم الآخرون من ألم وغيظ ويعلنون تضامنهم مع الشعب في وجوب حفظ عروبة فلسطين ووحدتها مهما كلف الامر وكانت أدوى الاصوات

أصوات سورية والعراق ورئيسي حكومتيهما مع التنبيه ان معظم الحكومات لم تنفذ ما قرره مجلس الجامعة من المساعدات الكافية لأهل فلسطين على التسلح والاستعداد تنفيذا تاما أو قريبا من التمام كما ان ايا منها لم تنفذ قرارات المجلس ضد امتيازات ومصالح الدول التي أسفرت عن وجهها الغادر وأصرت على الوقوف موقف العداء والمحاباة ضد العرب وقضيتهم رغم اثارة ذلك في اجتماعات اللجنة السياسية .

ولم تلبث الاصطدامات أن أخذت تقع بين العرب واليهود في المناطق المختلطة مثل يافا وحيفا والقدس وعلى الطرق المشتركة كذلك ثم أخذ نطاقها يتسع بما كان يصل الى العرب من بعض الوسائل وينضم اليهم من مجاهدين وقواد كانوا خارج فلسطين. ولم يكد يمر على صدور القرار شهر حتى غدت فلسطين بركانا يقذف بالحمم وكادت الحالة تتصف بصفة المذابح بين العرب واليهود بحيث كان كل يوم يقع عشرات القتلى والجرحى في المدن والطرق فضلا عن النسفيات والتدميرات المتقابلة . وأخذت الفلسطينيين حمى التسلح للقتال والدفاع فصاروا يملأون أنحاء سورية ولبنان والاردن ويصلون الى مصر والعراق وتركية وليبية بسبيل ذلك لأن معظم ما كان في أيديهم من سلاح صادرته السلطات الانكليزية في أثناء الحرب ، واشتدت الهمم في التدريب والاعداد والتجهيز وتدارك الوسائل . وكانت سورية أشد

البلاد العربية نشاطا واضطراما واهتماما ومساعدة ... ودارت حركة صراع قوية رهيبة طيلة الاشهر الخمسة التي تلت القرار قوامها مجاهدو فلسطين وقوادهم ومتطوعو العـرب المصريين والسوريين واللبنانيين والاردنيين والعـراقيين وأفواج جيش الانقاذ التي كان نصف أفرادها فلسطينيين أيضا . وقد بدا منهم وخاصة من أهل الدار من الاستماتة والبسالة والاقدام والتضحية والجلد ما يملأ النفس زهوا واكبارا .

وبالرغم مما أخذ يبدو من وفرة السـلاح وجدته وبراعة القيادة والفن ويسر الوسائل الآلية والاسعافية عند اليهود وما كان عليه العرب من ضيق وضعف في كل ذلك فقـد استطاع العرب أن يحتفظوا بموقف المبـادرة وان يشعروا اليهود بشدة الوطأة وأن يثيروا قلقهم ورعبهم في فلسطين وخارجها في الايام المئة الاولى وقد تفوق اليهود في البدء بأعمال النسف فلم يلبث العرب أن كالوا لهم بكيلهم . وتفوق العرب عليهم في معارك الطرق واحتفظوا بتفوقهم وأحرزوا في هذه المعارك انتصارات باهرة وخاصة طريق القدس ـ يافا حيث قاسى يهود القدس من جرائها بأس الجوع والظمأ الشديد وتكبدت الحركة اليهودية فيهـا خسائر فادحة في السيارات والمصفحات والحراس كمـا سجلوا انتصارات باهرة في مناطق عـديدة اخرى وخاصة في مستعمرات الخليل ويافا والقدس والجأوا بانتصاراتهم وصولاتهم

كثيرا من سكان المستعمرات الى التخلي عن منـــازلهم واللجوء الى المـــدن ، حتى صارت الصحف تذكر ان التقسيم قد قضى عليه وتنصح اليهود بمحاولة انقاذ ما يمكن انقاذه وبدا من بعض اليهود وأوساطهم جنوح الى التسليم وقبول التعايش مع العرب واعتقاد بأن مستقبلهم ومستقبل فلسطين منوطان بذلك بحيث اذا لم يفعلوا أضاعوا كل ما جنوه . بل وســرى التشاؤم الى زعمائهم حيث صاروا يقولون ان معركتهم خاسرة اذا لم يتيسر لهم فرقتان كاملتان في معداتهما تنزلان الى الميدان خلال ثلاثة أشهر ويبذلون جهودا جبارة في تدارك النقص وضمان الصمود مما كان له أثر خطير في هيئة الامم وكان للقضية العربية نصــر باهر فيه .

ولقد قدمت الوكالة اليهودية في شباط ١٩٤٨ الى مجلس الامن مذكرة شكت فيها الحكومات العربية واتهمتها بالتآمر على الغاء التقسيم وطلبت اتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذه بالقوة ثم عززتها بمذكرة ثانية في مارس فــي ظرف دخول القاوقجي وقالت في هذه المذكرة أن الدول العربية قد اشتد موقفها نتيجة الشك المتزايد في امكان تنفيذ التقسيم وطلبت تطبيق ميثـــاق هيئة الامم عليها لانها تعمد الى التهديد والقوة في علاقاتهـــا الدولية . وكانت تقارير لجنة التقسيم تصل الى هذا المجلس وتذكر فيها أنها لم تستطع أن تفعل شيئا بسبب الاضطرابالذي

تغلي مراجله كما كانت صرخات يهود القدس تدوي في أرجاء الدنيا من الجوع والظمأ بسبب الحصار العربي ، فانعقدالمجلس في أواسط شباط ١٩٤٨ واطلع على مذكرات الوكالة وتقارير لجنة اليهود وأخذ يوالي جلساته . وقد استمع الى رئيس لجنة التقسيم الذي قرر أن من العبث القيام بعمل مجد وسط العنف والفوضى القائمة وأنه ليس من سبيل الا أحد طريقين : أما ارسال جيش دولي لتنفيذ التقسيم بالقوة ، وأما الضرب بهعرض الحائط . ولقد خطب مندوب الولايات المتحدة خطبة مسهبة أبدى فيها حزنه من التنافر الذي يلطخ أديم الارض المقدسة بالدم وطلب العمل على اتخاذ كل تدبير ممكن لمنع ذلك أو تخفيفه ، وخطب فارس الخوري خطابا رائعا فند فيه قرار التقسيم وفضح ما عمد اليه أنصار اليهود ــ ويعني الولايات المتحدة ورئيسها ترومان ــ من تصرفات غير شريفة للحصول على الاكثرية له وأكد استحالة تنفيذه ومخالفته لميثاق الهيئة وحق العرب الطبيعي في مقاومته لما يترتب على قيام دولة يهودية في قلب بلاد العرب من أخطار عاجلة وآجلة عليهم جميعا . وكان من بوادر النصر في معركة المجلس هذه أن أعلن مندوب كندا معارضة حكومته للتقسيم وتنفيذه بالقوة وطالب بحل للمشكلة على أساس التفاهم بين العرب واليهود ، وان اقترح مندوب بلجيكا أن تتشاور الدول الخمس الكبرى في حل للمشكلة بدون ارتباط بقرار التقسيم،

وكلتا الدولتين ممن صوت على التقسيم ــ وان وافق المجلس على اقتراح المندوب البلجيكي وقرر أن تتشاور الدول الخمس في وسيلة غير القوة والارغام ، وان أخذت تبدي الولايات المتحدة ميلا الى اعادة النظر في القضية من أساسها واجراء مشاورات مع العرب واليهود على غير أساس التقسيم ، ثم تمّ النصر في ١٩ مارس ١٩٤٨ باعلان المندوب الاميركي سحب حكومته لتأييد التقسيم لانها اقتنعت انه لا يمكن تنفيذه الا بالقوة في حين أنها لن توافق على ذلك في حال ، واقترح وضع فلسطين تحت الوصاية واعادة القضية الى هيئة الامم للنظر فيها ثانية على هذا الاساس ودعوة العرب واليهود الى عقد هدنة سياسية وعسكرية انتظارا للنتيجة ، فوافق المجلس على ذلك .

وهكذا حقق الكفاح العربي الشعبي غايته وكان من الممكن أن يستمر الموقف في تطوره الى أن يموت التقسيم نهائيا لو لم ينقلب ميزان القوة بين العرب واليهود لصالح اليهود بسبب تقصير معظم الحكومات العربية في مد المجاهدين بالسلاح والعتاد ، وبسبب مساعدة الانكليز لليهود مساعدات عظيمة ايجابية وسلبية[1] . ولقد استمر اليهود من جهة على جهودهم الجبارة في جلب السلاح والعتاد والضباط والقواد والمدربين ،

---

(١) في الجزء الخامس من كتاب حول الحركة العربية تفصيل لما لخصناه في هذه النبذة ص ٤ ــ ١٨

وأتاح الانكليز لهم فرصا ذهبية حيث قرروا وقف الادارة المدنية وتصفيتها اعتبارا من أول مارس ، وبدلوا صفة المندوب السامي فجعلوه حاكما عسكريا وأخذوا ينسحبون من تل أبيب والمناطق اليهودية ويتركون ادارتها لليهود فهيئوا بذلك المجال للوكالة اليهودية التي كانت منظمة على نمط مصالح حكومية لملء الفراغ وانقلابها فعلا الى حكومة يهودية ووضع يدها على المرافق العامة وجباية الضرائب والاستيلاء على المطارات العديدة في تل أبيب والمستعمرات وعلى ميناء تل أبيب ويسروا لها بذلك أسباب جلب المدربين من الشباب الذين كانوا يعدون في معسكرات خاصة في أوروبا ، وجلب مختلف أنواع السلاح ووسائل التدمير والقواد والضباط جوا وبحرا . وأعطوهم باسم مخلفات حربية وبطريق البيع الصوري ما قيمته خمسة ملايين جنيه فيها عدد غير قليل من الطيارات والمصفحات والدبابات والمدافع والعتاد والاجهزة المتنوعة ..

هذا في حين أنهم ظلوا محتلين للمناطق العربية وقابضين على زمام الادارة فيها ، وكانوا لا يألون جهدا في عرقلة التسرب العربي والتموين العربي من خارج فلسطين وانذارهم باتخاذ كل التدابير لمنع دخول قوات عربية مسلحة الى فلسطين . وهذا بالاضافة الى ما كان من تصرفات عجيبة لهم خلال النضال حيث كانوا يبادرون الى انقاذ اليهود من كل ما يقعون فيه من مأزق

أو حصار ، وحيث كانوا يشددون الوطأة على العرب بالاعتقال واطلاق النار والتجريد من السلاح ونسف المنازل الخ .. في حين لم يكونوا يعبأون بما يقع أحيانا من اليهود ضد العرب والعزل مما كانت تمتلىء أعمدة الصحف بذكر وقائعه بالارقام والاسماء والتواريخ ومما كان موضوع مئات الشكاوى . فساعد كل هذا على انقلاب ميزان القوى لصالـح اليهود الذين أخذوا يتفوقون على العرب في مختلف الوسائل ويتمكنون من أخـذ زمام المبادرة منهم منذ أواخر شهر مارس ، وكـان من أهـم ما ساعد على هذا ايضا شح السلاح والعتاد والوسائل المتنوعة في أيدي المجاهدين ، ولقد بذلت القيادة العسكرية جهدهـا في افهام الحكومات خطورة الموقف وحملها على الجد والاهتمام في مدهم بما ينقصهم ، وقام بحملات ورحلات عديـدة وقدم استقالته مرة بعد مرة . وكذلك بذل زعماء فلسطين جهودهم ومنهم من تنقل في العواصم العربية لشـرح خطورة الموقف وما يترتب على تفوق اليهود من عواقب وخيمة ، وطير كثيرمنهم برقيات استغاثة شديدة وعديدة بسبيل ذلك فلم يسفر كل هذا عن شيء مثمر بحيث تبدو فداحة التقصير في الموقف العصيب حتى ليصح أن يسمى اجراما وخيانة[1] . وبحيث يمكن أن يقال

(١) من الحق أن نذكر أن الحكومة السورية ورئيسها المجاهد القوتلي بذلوا ما أمكنهم البذل حتى على حساب امكانيات وضرورات جيشهم .

أن السلطات الانكليزية لو لم تقف تلك المواقف التي وقفتها وأتاحت لليهود فيها الفرص العظيمة ولو لم تعاكس العرب معاكسات شديدة عن قصد وتدبر ، ثم لو لم تقصر الحكومات العربية ذلك التقصير ، لما أمكن لليهود أن يقووا ويتفوقوا ويأخذوا زمام المبادرة ، ولما تيسر لهم أن يستولوا على ما استولوا عليه ويشردوا العرب شر تشريد ، ولظل زمام المبادرة في يد العرب ولامكن الاحتفاظ بكثير من المواقع التي استولى عليها اليهود الى ١٥ مايس ولكان التطور العظيم الذي حدث في الاوساط الدولية أزاء التقسيم قد أثمر ثمرته المنشودة •

وهذا أهم عامل من عوامل المأساة في ظرف التقسيم الثالث فيما نعتقد •

ولقد أقدم اليهود في العاشر من نيسان على مداهمة قرية دير ياسين وفتكوا بنحو مئتين وخمسين من أهلها دون تفريق بين ذكر وانثى وشيخ وطفل ومثلوا فيهم ببقر البطون وتقطيع الايدي والارجل والاثداء وفقأ العيون وجدع الانوف وصلم الآذان وتحطيم الجماجم على مرأى من السلطات الانكليزية وسمعها حيث كانت القرية على مرمى البصر في ضواحي القدس ولم تكن ميدان معركة وموقع اشتباك • ومع أن الحكومة البريطانية أعلنت انها ستظل مسؤولة عن الامن والنظام في فلسطين الى ١٥ مايس فان سلطاتها لم تفعل شيئا في سبيل حماية

العزل من العرب في القرى والمدن . ولقد طلب سكرتير الهيئة العربية العليا الذي كان في فلسطين ارسال قوة الى القرية فرفضت بل ورفضت حراسة بعض العرب الذين أرادوا أن يذهبوا الى القرية لجمع الجثث ودفنها بينما كانت ترسل القوات الكثيرة الى المستعمرات النائية والاماكن التي كان يحدق فيها العرب باليهود وقوافلهم لنجدتهم وانقاذهم بحيث يمكن أن يعدوا ذوي ضلع بشكلما في هذه الجريمة وما هدفت اليه من اثارة الذعر والرعب في قلوب العرب وما أدت اليه من موجة النزوح الاولى عن فلسطين الى البلاد المجاورة . ولقد استشرى لؤم اليهود وروحهم الشريرة فطبقوا العملية على قرية ناصر الدين قرب طبريا اتماما لتحقيق القصد الرهيب دون أن تحرك السلطات ساكنا في سبيل حمايتها مما أثار الذعر في الشمال كما أثارته جريمة دير ياسين في الجنوب ، وجعلت أهل هذا القسم يجفلون وينزحون في موجات متوالية[١] .

وكان كلما اقترب يوم ١٥ مايس الذيجعلته بريطانيا موعدا

---

(١) هناك فريق يوجه اللوم على اهل فلسطين بسبب نزوحهم ويرى ان ذلك مما سهل على اليهود تحقيق أهدافهم . وهذا اللوم لا يصدر الا عن غافل أو مفرض مأجور . لانالذعر فيأثناءالحروب والثورات والفتن الاهلية حالة نفسية لا يملك الناس حيلة فيها . والامثلة لا تعد في كل مكان وزمان في القديم والحديث .

لانهاء انتدابها المشؤوم ظهر اليهود بقوة أكثر من حيث الكمية والنوع . وقد استغلوا ما أثاروه في قلوب العرب من رعب وهيئته لهم السلطات الانكليزية من فرص ذهبية فأخذوا يشددون ضغطهم في طبريا وحيفا وصفد وهي مدن مشتركة . ومع أن المجاهدين استماتوا في سبيل الصمود أمام الضغط ولم يبالوا بكثرة ما يذهب منهم من الضحايا وكانوا أحيانا ينتصرون انتصارات رائعة ، فان شح السلاح والعتاد نوعا وكمية مما كان يفت في أعضادهم ويضعف معنوياتهم وأملهم فضلا عن فقدان أي تكافؤ بينهم وبين اليهود في نيسان خاصة في السلاح والعتاد والضباط والجنود والوسائل المتنوعة مما جعل العرب في فلسطين وخارجها يشعرون بالحرج الشديد ويلمسون الخطر الاكيد فترتفع الاصوات بوجوب تدخل الجيوش العربية لانقاذ الموقف المتدهور بما أمكن من السرعة .

ولقد اختمرت فكرة التدخل ثم تقررت في الجامعة العربية في ١٢ نيسان ١٩٤٨ فسارعت الحكومة البريطانية الى الاعلان بأن أي تدخل عسكري قبل ١٥ مايس يعد اعتداء عليها تقابله بالقوة وانها ستظل مسؤولة عن فلسطين وأمنها الى ذلك الوقت مع أن سلطاتها لم تقم بهذا الواجب ولم تعمل على حماية أهل طبريا وسمخ وبيسان ويافا وما تبعها من مئات القرى التي اشتد ضغط اليهود عليها بعد أن أعاقت التدخل السريع الذي

كان يهدف الى هذه الحماية ، بل أنها على العكس مكنت اليهود من انجاز ما ينبغي انجازه قبل ١٥ مايس حيث اخذت تنسحب من المدن المختلطة أو بالاحرى من الاحياء العربية فيها وتخلي لليهود المجال وتحرض العرب على التسليم والجلاء وتمنع دخول امداد عربي بحجة أن ذلك مما يؤدي الى اتساع نطاق المذابح كما فعلت في طبريا وحيفا حيث كان موقفها فيها موقف الخداع الوقح السافر . وهكذا أخذت هذه المدن واحدة بعد اخرى تسقط منذ الاسبوع الثالث من نيسان الى الاسبوع الثاني من مايس وتسقط معها جبهة المنطقة الساحلية الغربية ومعظم جبهة الجليلين الشرقي والغربي في أيدي اليهود وتحت سيطرتهم واستحوذ الذعر على العرب فيها وفي غيرها . فأخذ سيل نازحيهم يتدفق على لبنان وسورية ومصر في حالة تفتت الاكباد مخلفين وراءهم كل ما يملكون من مال ومتاع وسلع وأثاث وملك بحيث لم يأت ١٥ مايس حتى كان معظم الساحة العامرة المخصصة لليهود في التقسيم وساحة كبيرة اخرى معها مثل يافا وجزء كبير من الجليل الغربي وجزء كبير كذلك من قرى القدس واللد والرملة مما هو مخصص في قرار التقسيم للعرب قد دخلت تحت تلك السيطرة .

وهكذا يسر الانكليز قيام الدولة اليهودية قبل مغادرتهم لفلسطين وحققوا السياسة التي انتهجوها للكيد للحركة العربية

وعرقلتها وقطع عقدة الصلة بين البلاد العربية وضمان بقائها تحت هيمنتهم الاستعمارية . فلا غرو أن يسارع اليهود في الدقيقة الاولى بعد انتهاء الانتداب الانكليزي رسميا الى اعلان دولتهم لانها كانت قائمة فعلا .

وبرغم كل ما جرى فان مجلس الامن والي جلساته للنظر في قضية فلسطين وثبت له أنه لا يمكن تنفيذ التقسيم الا بالقوة ولم ير أمكانا لذلك فقرر اعادة القضية الى الجمعية العامة لاعادة النظر فيها على ضوء التطورات ودعوة العرب واليهود الى عقد هدنة موقتة بينهما ، ودعيت الجمعية العمومية الىدورةاستثنائية وأخذت منذ ١٦ نيسان ١٩٤٨ توالي جلساتها الىتاريخ١٣مايس دون أن تصل الى شيء حاسم فاقترحت الولايات المتحدة المسارعة الى تعيين وسيط مفوض من هيئة الامم تشمل مهمته جميع فلسطين بسبب عزم الحكومة البريطانية على التخلي عن الانتداب وضرورة ملء الفراغ بعد ١٥ مايس على أن تكون مهمته : (١) بذل مساعيه لدى السلطات المحلية والطوائف في فلسطين لتنظيم سير المصالح المشتركة الضرورية لسلامة وخير شعب فلسطين وتأمين حماية الامكنة المقدسة والابنية والطقوس الدينية . (٢) التعاون مع لجنة الهدنة التي ألفها المجلس — والتي لم تستطيع القيام بمهمتها أو اتمامها — . (٣) ادارة ومساعدة وتنسيق المنظمات الاختصاصية التابعة

للامم المتحدة بالشكل الذي يراه مناسبا ولتأمين سعادة سكان فلسطين كالمنظمة العالمية للصحة والصليب الاحمر وغيرها مما له صبغة انسانية . وقد تضمن الاقتراح الاميركي وقف لجنة التقسيم عن ممارسة صلاحيتها ، فوافقت الجمعية على الاقتراح لانه لم يكن بقي على نهاية الانتداب الا ساعات معدودات ولم يكن امكان زمني لعمل شيء آخر . وعين الكونت برنادوت لهذا المنصب . وقد كان في كل ذلك نصر عظيم للقضية العربية يعد بمثابة نقض لقرار التقسيم سواء في ما تضمنه من الغاء لجنة التقسيم أم في مهمة الوسيط الشاملة لكل فلسطين وغير المقيدة بقرار التقسيم .

وهكذا حققت العزيمة العربية غايتها مهما تخلل المدة التي مرت بين قرار التقسيم و ١٥ مايس من نقص واخطاء واسترد العرب المبادرة التي كانت تنطوي في قرار الحكومات بتسيير جيوشها في هذا التاريخ ليتمموا عملهم ويصلوا به الى النتيجة المنشودة المتسقة مع الميثاق العربي والحق العربي ، واتيحت للعرب فرصة ذهبية جديدة وخطيرة كانت كفيلة بتحقيق تلك النتيجة لو استطاعت الحكومات العربية اغتنامها حتى في نطاق امكانياتها الميسورة ، أي ما عندها من قوى ووسائل حربية جاهزة ، لان امكانيات العرب أعظم بكثير من ذلك لو جنحت

الى تهيئتها جنوحا متسقا مع خطورة الموقف وما تمليه الكرامة العربية والمصلحة العربية العليا[1] .



اللون الابيض يبين المنـــاطق التي كانت في حوزة اليهود حتى يوم ١٥ مايو واللون الاسود يبين المناطق التي كانت في حوزة العرب

— ٣ —

ولما انتصفت ليلة ١٥ مايس زحفت الجيوش العربية نحو

---

(١) في الجزء الخامس من كتاب حول الحركة العربية تفصيل لما لخصناه في هذه النبذة انظر ص ١٨ — ٣٠ .

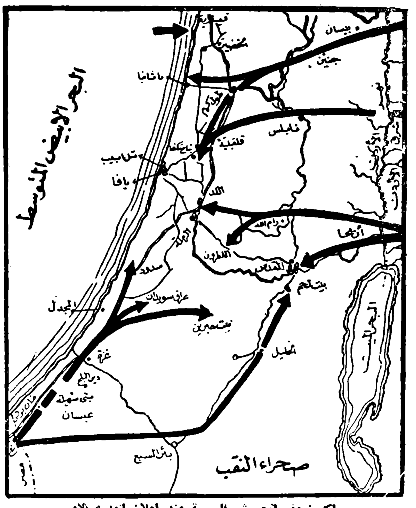
فلسطين . واستقبل العرب هذا الزحف بدموع الفرح والحماس وخاصة من فلسطين الجريحة التي كانت الاحداث التي سبقته قد حطمت قلوب أهلها وقرحت أكبادهم وشردت مئات الالوف منهـــم .

ولم يكد يمضي على الزحف اثنا عشر يومـــا حتى كانت الجيوش العربية تسيطر على المناطق العربية المخصصة للعرب في قرار التقسيم مع بعض استثناءات فيها زيادة من جهة ونقص من جهة اخرى وتكاد تحدق بتل أبيب وتفصل الجنوب عـــن الشمال في منطقة ناتانيا .

غير أن السير أخذ يخف بعد ذلك وصارت الارجل تعد في مكانها بل لقد كان بعض التراجع في السير العراقي في منطقة ناتانيا ، كما كان تراجع من الناحية السورية في جبهة سمخ حيث تعرضت فصائلها لضغط يهودي قوي . وظل الامر كذلك الى أن وقف القتال في ١١ حزيران ١٩٤٨ . واخذت تبدو بعض علائم الخلاف على الخطة حيث لم ير الملك عبد الله الذي أصر على أن تكون له القيادة العامة أن يتقيد بالخطة التي وضعهـــا أركان الحرب ويدعم الكتائب العراقية لفصل الشمال عن الجنوب ورأى أن يكثف كتائبه الخاصة في منطقة القدس واتجاه يافا .

وقد كشفت الايام والوثائق عن تفاهم سابق بـــين الملك

واليهود على الرضاء بالتقسيم مقابل قبول هؤلاء أن تضم الاقسام العربية الى مملكته ...



مراكز زحف الجيوش العربية عند اعلان الهدنة الاولى

ولقد سارع اليهود الذين أعلنوا قيام دولتهم في ليلة ١٥ مايس واعترف بها ترومان ، الى شكوى الحكومات العربية

الى مجلس الامن وتبنى المندوب الاميركي الموضوع وطلب من المجلس أن يقرر أن الحالة مهددة للسلم تمهيدا لمنع القتال بالقوة الدولية وتطبيق العقوبات . ثم تقرر توجيه نداء للعرب واليهود بقبول هدنة لا تؤثر في الحقوق والمطالب والمواقف التي يدعيها كل فريق ، فوافق اليهود ورفض العرب أولا ثم قبلوا نتيجة لضغط برطانية والولايات المتحدة وتهديدهما ، فتوقف اطلاق النار يوم ٧ حزيران لمدة شهر على أن يبذل الوسيط خلاله جهوده للتوفيق .

والاحداث التي وقعت منذ عقد الهدنة أثبتت أن العرب قد خسروا المعركة حين قبلوها . فقد كانت فرصة الدهر لليهود مكنت دولتهم تمكينا تاما بما نالوه من اعترافات العديد من الدول ، وبما بذلوه من جهود جبارة في جلب السلاح والعتاد والطائرات والمدافع والطيارين والجنود والضباط والقواد مما كان ينقصهم منه الشيء الكثير خارقين في ذلك شروط الهدنة على مرأى وسمع من مراقبيها . هذا الى ما كان من خرقهم لهذه الشروط بحركات عسكرية هدفوا بها الى تموين وتقوية مستعمراتهم المنعزلة وتعديل خطوطهم لتكون أقوى على الصمود في حال استئناف القتال . وقد حققوا ما هدفوا اليه دون مبالاة بالعرب الذين كانوا يكتفون ازاء ذلك بالشكوى والاحتجاج .

وقد كان لتقصير الحكومات العربية وعدم ادراكها للموقف

بل وتخاذلها فيما بينها الاثر الاقوى في الخسران .

فقد قال لها أركان حرب جيوشها ان الظروف تقضي بأن يكون الزحف قويا وخاطفا يضمن نصرا عاجلا تفاديا من المضاعفات وان هذا يحتاج الى خمس فرق كاملة وستة أسراب من الطائرات وأن تكون جميع القوى خاضعة لقيادة واحدة . فاستكثرت الطلب وأصر الملك عبد الله على أن يكون هو القائد العام فنزلت عند اصراره مع أنه هو وجيشه بيد الانكليز لحما ودما ان صح التعبير . ولم يكن مجموع القوات الزاحفة يتجاوز الخمسة عشر الفا من مختلف أنواع السلاح ولم يكن عدد كل من قوتي مصر والعراق يتجاوز الخمسة آلاف . ومعظم القوات الزاحفة استنفدت في الاقسام العربية وفي تأمين خطوط التموين والمواصلات .. ولم يكن هذا عن عجز وقلة امكان ميسور . لان كلا من العراق ومصر حشدتا بعد مدة ما في فلسطين وأطرافها ما يقرب من عشرين الفا وبلغ مجموع القوى المحاربة خمسين الفا عدا مناضلي فلسطين بحيث يمكن أن يقال ان العراق ومصر لو حشدتا في البداية ما حشدتاه بعد مدة وكان هذا واجبا وممكنا ، وما ألح عليه أركان الحرب لكان من المحتمل أن تتم التصفية قبل أن يكون للمداخلة والضغط تأثيرهما الاليم .
وهذا فضلا عن فقدان القيادة العامة المسيطرة على القوات والحركات فعليا ، ثم عن ما بدا على قيادات القوات الزاحفة

من دهشة ازاء الحصون اليهودية يدل على ما كان من جهلهـا لما في فلسطين مع أن استقصاء ذلك مسبقا والاستعداد له من البديهيات العسكرية وفضلا كذلك عن ما كان من ارتباك وارتجال وفقدان تضامن وانسجام وضعف اعداد اداري وتدريبي وفني وجعل الاعتبار السياسي مؤثرا في العمل العسكري وسائـدا عليه •

ولقد قيل بل سمعت ذلك من شخصية رسمية كبرى وأيدته التقارير العسكرية الرسمية ان العرب مالوا الى الهدنة تحت ضغط قلة العتاد ، الامر الذي يثير أشد الدهشة ولا سيما اذا لوحظ أنه لم يقع بـين العرب واليهود معارك طاحنـة بالمعنى المعروف ، وان الحركة كانت محسوبة ومتوقعة منذ بضعة أشهر وان القوات الزاحفة لم تكن الا جزءا من الجيوش العربية • لان هذا يدل على بالغ الغفلة والاستهتار والانصراف التام عن فكرة استخدام الجيوش النظامية في هذه الحرب •

ولقد قال لنا مصدر وثيق أن رجال اللجنة السياسية كانوا يذهبون الى أن مجرد زحف الجيوش العربية بقطع النظر عن عددها وعددها كاف لحمل الدول الكبرى على التدخل وايجاد حل يرضى عنه العرب وان هذا التفكير كان عاملا جوهريـا فيما بدا من استهتار وعدم اهتمام لكمية وكيفية الزحف فـي الجولة الاولى • وفي هذا كذلك بالغ الغفلة والاستهتار واللعب

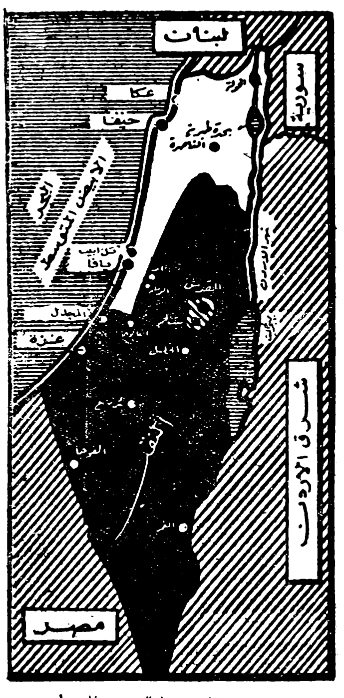
بالنار على حساب شرف أمتهم وجيوشهم وكرامتها وسلامتها. وقد تدنس بهذه الغفلة ذلك الشرف وذلت تلك الكرامة وهددت هذه السلامة ، وقد غدا العرب بذلك سخرية الساخرين واليهود بما أتاحوه من مجال للقول أن جيوش سبع دول ارتدت أمام حفنة من اليهود ... ومن العجيب المؤلم أن رجال الحكومات العربية بما فيهم الملك عبد الله كانوا يقولون أنهم حسبوا لكل شيء حسابا وأعدوا لكل شيء عدته[1] .

- ٤ -

وفي خلال الهدنة قدم الوسيط حلا فيه تعديل لحدود التقسيم حيث يعطى النقب ومنطقة القدس للعرب مقابل اعطاء الجليل الغربي لليهود . وكان هذا الحل يحصر اليهود في مثلث تل أبيب صفد مرج ابن عامر ويضمن صلة افريقية العربية بآسيا العربية وسلطان العرب الشامل الفعلي للقدس بدون تدويل[1]. ورفض العرب هذا الحل وقدموا مشروعا على أساس الدولة

---

(١) في الجزء الخامس من كتاب حول الحركة العربية تفصيل لما لخصناه في هذه النبذة انظر ص ٣٠ ــ ٤٠ . (٢) حقد اليهود على برنادوت بسبب هذه التعديلات التي تحرمهم من النقب والقدس لانه قدمها الى هيئة الامم فيما بعد .



مشروع برنادوت لتقسيم فلسطين
المناطق البيضاء خصصت لليهود والمناطق السوداء خصصت للعرب

الواحدة ذات الاكثرية العربية • واوشكت مدة الهدنة على الانتهاء فأخذ الوسيط يسعى لتمديدها ويعد بتعديل اقتراحاته أو تقديم غيرها • وقبل اليهود التمديد ورفضه العرب بحجة خرق اليهود لشروط الهدنة وامتلاء ايديهم بالسلاح المتنوع الثقيل الذي كان ينقصهم وامتلاء ثكناتهم بالمدربين الجدد • ثم استؤنف القتال في ٩ تموز ١٩٤٨ ، ولكن لم يمض خمسة أيام على ذلك حتى تطور الموقف في الميدان تطورا مفاجئا أليما حيث انسحبت القوة الاردنية من منطقة اللد والرملة وانسحبت القوة العراقية من رأس العين ومجدل بني فاضل المجاورين لهذه المنطقة ثم من بعض مناطق مرج ابن عامر ، فكان من نتائج ذلك سقوط جبهة اللد والرملة وتحرر الكتائب اليهودية فيها لتتفرغ للكتائب المصرية التي كانت قريبة منها حتى كادت تلحق بها الهزيمة ، وخسران العرب المركز الحربي الحسن الذي كان لهم قبل استئناف القتال ، وخسرانهم فوق ذلك نحو ربع المنطقة العربية العامرة التي كانت في يدهم والتي كانت تضم الناصرة وشفا عمرو واللد والرملة وما حولها من عشرات القرى والتحاق ألوف اللاجئين الجديدين بسابقاتها •

وقد كان للضباط الانكليز في الجيش الاردني يدا خبيثة في التطور المفاجيء الذي أدى الى الكارثة الاليمة •

ومن مشاهد المأساة أن رجال الحكومات العربية أصروا

على رفض تمديد الهدنة الذي كان يلح عليه برنادوت ، وكانوا يدلون بتصريحات مطمئنة قوية أثناء الهدنة بأنهم جدوا وأعدوا لكل شيء عدته لتدارك ما فاتهم في الجولة الاولى في حين كانوا في مجالسهم الخاصة يعترفون أنهم لم يزدادوا استعدادا ولا قوة ولا سلاحا وأنهم أخفقوا في ذلك بسبب ما كانت بريطانية والولايات المتحدة تقيمانه في طريقهم من عقبات ، بل وانهم ليس لديهم من الامكانيات والسلاح والعتاد ما يحقق الغاية المنشودة من استئناف القتال • وكان من الملموس أن الجيوش العربية كانت في هذه الجولة ايضا بدون خطة وبدون تضامن وبدون قيادة مركزة •

ولقد عاد مجلس الامن للنظر في القضية بسبب استئناف القتال وقرر دعوة الفريقين الى وقف النار وأنذرهما بالعقوبات في حالة الرفض • وكانت الكارثة قد أثرت في حالة العرب النفسية أشد تأثير فلم يكن للحكومات العربية مناص من قبول الدعوة • وقد قبلها اليهود باغتباط وسعادة لانهم كسبوا امكاسب جديدة من نصيب العرب ما كانت لتخطر لهم ببال •

وبعد قليل عرض اليهود على العرب الصلح فرفضوه • وفي دورة الخريف لسنة ١٩٤٨ اثيرت القضية في هيئة الامم وعرض مشروع برنادوت ثانية فرفضه العرب وأصروا على أن لا حل للقضية الا على أساس الدولة الموحدة • وقررت الهيئة تعيين

لجنة باسم لجنة التوفيق لتقوم بالاعمال التي انيطت بالوسيط برنادوت الذي قتله اليهود ، ولتنمي الصلات الحسنة بين دولة اسرائيل وعرب فلسطين والدول العربية ، ولتتخذ الخطوات اللازمة لمساعدة الحكومات والسلطات المختصة لانهاء جميع الخلافات القائمة بينهما ولتتخذ التدابير اللازمة لوضع جميع الاماكن المقدسة والمباني الدينية تحت حماية واشراف منظمة الامم • وقررت الهيأة كذلك حق اللاجئين بالعودة الى بلادهم للعيش بسلام مع جيرانهم ودفع التعويضات لمن لا يرغب في العودة وللذين أصابهم الضرر في ممتلكاتهم ، وأناطت اتمام ذلك للجنة التوفيق •

ولقد ظل التوتر والجفاء قائمين بين مصر من ناحية والعراق والاردن من ناحية ، ولم تجد ما بذل من مجهودات في سبيل أزالتهما • واغتنم اليهود الفرصة فأخذوا يقومون بحركات عسكرية في النقب الذي كان جله تحت سيطرة القوات المصرية• ولم يلبث أن وقع الاصطدام بينهم وبين هذه القوات • ووقفت القوات الاردنية والعراقية التي كان في امكانها وحدها التدخل المجدي موقفا جامدا برغم ما بذل من جهود وعقد من اجتماعات• واشتدت حركات اليهود ومطامعهم وتمكنوا من السيطرة على معظم النقب وحاصروا الحامية المصرية في الفالوجة •

وبحث مجلس الامن في الموقف فقرر دعوة الفريقين الى

وقف النار ورجوع كل منهما الى حدود الهدنة وعقد هدنة شاملة وعين وسيطا جديدا للسعي في هذا الامر . ولم يعبأ اليهود لانهم رأوا الموقف ملائما واشتدوا في حركاتهم ودخلت قواتهم الاراضي المصرية حتى صارت على بعد عشرة كيلومترات من العريش وحتى كادوا يطوقون الجيش المصري وينزلون به ضربة ساحقة . ثم أعلنوا موافقتهم على وقف النار قائلين أنهم حققوا هدفهم وهو اخراج القوات المصرية من المنطقة المخصصة لهم حسب قرار التقسيم . ولم يكن بقي تحت سيطرة مصر الا قطاع غزة الضيق الذي لا يزيد عرضه عن عشرة كيلو مترات وطوله عن خمسين . وضغطت بريطانية والولايات المتحدة على مصر وكانت في حالة معنوية سيئة فقبلت بدورها وقف النار كما قبلت الدخول في مفاوضات فردية مع اليهود لعقد هدنة دائمة.

وجرت المفاوضات في رودس تحت اشراف الوسيط بانش وأصر اليهود على الاحتفاظ بكل ما دخل فيحيازتهم فيحركاتهم الجديدة وعدم تنفيذ قرار مجلس الامن القاضي برجوعهم الى مراكزهم من حدود الهدنة . ورضي المصريون بذلك كما رضوا بأن تكون الساحات الضئيلة التي لم تدخل تحت سيطرة اليهود على الحدود الشرقية لقطاع غزة منطقة مجردة من السلاح تحت اشراف المراقبة الدولية .

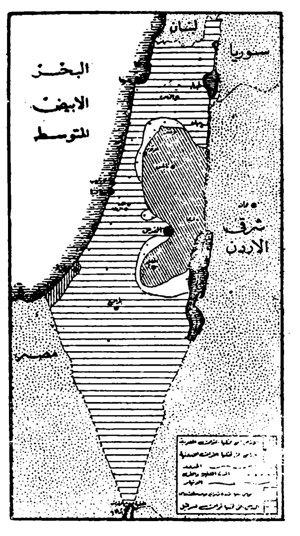
وتم توقيع الهدنة الدائمة في ٢٤ شباط ١٩٤٩ على هـذا

الاساس • وقد نصت اتفاقية الهدنة على تعهد كل فريق بعدم القيام بأي عدوان الى آن يتبدل الموقف بصلح دائم وعلى أن الهدنة مستوحاة من الاعتبارات العسكرية فقط وليس من شأنها أن تكسب أي فريق حقا عسكريا أو سياسيا وأن حدودها ليست حدودا سياسية ولا اقليمية ولا تمس الحقوق والمطالب لكل فريق حيث يبقى ذلك منوطا باتفاق لاحق •

ووجه الوسيط بعد ذلك الدعوة الى الحكومات الاخرى للدخول في مفاوضات مماثلة • واستجابت لبنان اولا ثم الاردن ثم سورية وانعقد بينها بالتوالي وبين اليهود هدنة دائمة في نطاق الشروط العامة التي احتوتها اتفاقية مصر •

ولقد أصر العراق على عدم الدخول مع اليهود في مفاوضات مباشرة ووكل الاردن عنه وسحب جيوشه من فلسطين لتحل محلها قوات الاردن • واغتنم اليهود الفرصة فاستولوا على موقع أم الرشراش في خليج العقبة الذي كان ما يزال في يد القوات الاردنية وأصروا على تعديلات جديدة لحدودهم الشرقية والجنوبية وكسبوا كسبا جديدا وخطيرا في منطقة مثلث نابلس وجنوب الخليل بلغت مساحته نصف مليون دونم من أخصب الاراضي وحرمت به ستون قرية عربية من أراضيها •

ومما لا ريب فيه أن اقبال مصر منفردة على مفاوضات الهدنة وحذو الاردن ولبنان ثم سورية حذوها وتطابق العراق



تمزيق فلسطين بموجب معاهدة رودس

والسعودية ضمنا في ذلك كان مظهرا أليما من مظاهر ما بلغه التوتر والكدر في سماء دنيا العرب وجامعتهم . وكان قبول مصر والاردن خاصة بشروط ثقيلة ورضائهم بما أصر عليه اليهود أثرا صادعا لذلك المظهر كما أن الهدنة الدائمة كانت خاتمة حزينة موجعة لقضية فلسطين الشهيدة لانها أذنت بسد باب كل امكان وأمل لتحريرها وصيانة عروبتها والقضاء على الكيان اليهودي فيها بالقوة العربية المجتمعة في هذه المرحلةمن مراحل التاريخ في حين أن هذا كان هو السبيل الوحيدة الى ذلك[1] .

(١) في الجزء الخامس من كتاب الحركة العربية تفصيل لما لخصناه في هذه النبذة ونصوص اتفاقيات الهدنة الدائمة ص ٤٠ ــ ١٢٥ و ٢٢٦ ــ ٢٦٢

٨ ـ بعد الهدنة الدائمة

ـ ١ ـ

ولقد أخذت لجنة التوفيق تنشط بعد الهدنة في سبيل مهمتها . ودعت الحكومات العربية الى لوزان واستجابت الحكومات المتهادنة الاربع وارسلت ممثليها كما أرسل اليهود ممثليهم وأخذت تعقد معهم جلساتها منذ أواخر نيسان ١٩٤٩

وكان اليهود قدموا طلبا بالانضمام الى عضوية هيئةالامم فطلب بعض الاعضاء تصريحا بأن دولتهم مستعدة لاحترام قرارات الهيأة فيما يختص باللاجئين والحدود وتدويل القدس فسارع الممثل اليهودي الى اعطاء هذا التوكيد باسلوب صريح وقوي . وفي نفس الوقت وقع ممثلو اليهود في لوزان مع لجنة التوفيق ميثاقا بأن يكون اساس المحادثات لحل الخلافات بينهم وبين العرب قرارات هيئة الامم أي : (١) حدود التقسيم . (٢) تدويل منطقة القدس . (٣) عودة اللاجئين الى منازلهم وتصرفهم بممتلكاتهم والتعويض على المتضررين فيها وعلى الذين لا يرغبون في العودة . فكان هذا وذاك مما جعل

الجمعية العامة لهيآة الامم تقرر قبول الدولةاليهوديةفيعضويتها،
وكان تاريخ هذا القرار وتاريخ ميثاق لوزان ١٢ مايس ١٩٤٩
غير أن المحادثات في لوزان ما لبثت أن أخذت تتعثر بماكان
اليهود يتفننون في اثارته من مشكلات ويقيمونه من عقبات
ويشترطونه من شروط ويطلبونه من طلبات تناقض الميثاقالذي
وقعوا عليه بحيث بدا أن توقيعهم انما كان خدعة مسرحية لنيل
موافقة هيئة الامم على عضويتهم فلما تم ذلكنكصواعلىأعقابهم
مصممين على عدم التنازل عن أي شيء في يدهم وعلى تجاهل
قرارات هيئة الامم فيما يتعلق بالتدويل واللاجئين والحدود
ثم وثبوا على القدس فأعلنوها عاصمة لدولتهم متحدين بذلك
الامم المتحدة وقراراتها ... وقد كان توقيعهم على الميثاق خدعة
للحكومات العربية حيث جعلوا ممثليها يتورطون ويوقعونعليه
بدورهم فكان توقيع العرب اعترافا بدولتهم وبقرارات هيئة
الامم بالتقسيم والحدود والتدويل مما فيه انحراف خطير عما
ظل عرب فلسطين والحكومات العربية وشعوبها يرفضونه
رفضا شديدا مستمرا ويسفكون دماءهم في سبيل مقاومته منذ
سنة ١٩٣٧ والذي دخلت جيوش الحكوماتالعربية الى فلسطين
لمقاومته أيضا . ومن المؤسف ان هذا الانحراف قد غدا منذئذ
شعارا للحكومات العربية نزلت به قضية فلسطين من مستوى
قضية عربية قومية عامة لا يمكن أن تتحمل قيام عنصر غريب

في صميم بلاد العرب يكون سرطانا خبيثا في الجسم العربي يعرقل نموه ووحدته ويقطع الصلة بين أعضائه بل ويهدد كيـانه الى مستوى محلي من حدود ولاجئين حيث صاروا يعتبرون تنفيذ قرارات هيئة الامم غـاية أملهم ويجعلونه موضوع الحـاحهم والتماسهم في مختلف المناسبات والمواقف ويقابل من قبل اليهود مع ذلك بالرفض البات الحاسم والاستهتار البالغ ، ثم بمحاولة جعل واقعهم وطيدا وارغام العرب على تبديل الهدنة بصلح دائم على اسـاسه . والولايات المتحدة وبريطانية تساعدانهـم على تحقيق مأربهم هذا بمختلف اساليب الضغط والتهديد والاغراء والاغواء والدس والفساد .

ولقد سنوا قوانين استندوا عليهـا في التصرف بامـلاك وأراضي ومخلفات العرب العظيمة بيعا واجارة واستملاكا بقصد قطع خط الرجعة على عودة اللاجئين واسكان مهاجريهم الجدد وتشغيلهم كما وضعوا قوانين استثنائية للعرب المقيمين في الارض المحتلة جعلوا بها حياتهم جحيما لا يطاق[1] ولا يرعون أي معنى

---

(١) يسيطر اليهود اليوم على ١٣ مدينة كانت اكثرية سكانها الساحقة واكثرية ملكياتها والقرى التابعة لها عربية وهي يافاوحيفا وعكا والناصرة وصفد وسمخ وبيسان وشفا عمرو واللد والرملة وطبريا وبئر السبع والمجدل وعلى جميع الاحياء العربية في القدس الجديدة . وعدد القرى التابعة لهذه المدن (٧٠٠) قرية عربيـة مئة بالمئة . ولم تكن ملكيات اليهود في صفد وقراها تتجاوز ١٨٪

من معاني الشرف والانسانية والمواثيق الدولية وحقوق الانسان والقانون في ما يعاملونهم به من معاملة يتمثل فيها الحجر والجور والاضطهاد والحرمان والصرامة والاذى المادي والمعنوي بأوسع مدى بقصد ارغامهم على النزوح عن فلسطين من جهة وارهاب النازحين وصرفهم عن التفكير والمطالبة بالعودة من جهة اخرى. وهم يبيتون أطماعا واسعة في بلاد العرب ويعتبرون ما دخل في أيديهم من فلسطين نقطة ارتكاز وقفز ولا يمضي شهر الا

وعكا ٣ بالمئة وطبريا ٢٨ بالمئة وبيسان ٣٤ بالمئة والناصرة ٢٨ بالمئة وحيفا ٣٥ بالمئة ويافا بما فيها تل أبيب ٣٩ بالمئة واللد والرملة ١٤ بالمئة وبئر السبع ١ بالمئة وسمخ ٢ بالمئة وشفا عمرو ١٠ بالمئة وكان يسكن هذه المدن والقرى من العرب نحو ميليون عربي لم يبق منهم في مدنهم وقراهم الا نحو (١٦٠٠٠٠) وفي الاراضي التي يسيطر عليها اليهود كان من بساتين البرتقال العربية (١٢٠٠٠٠) دونم ومن بساتين الموز (١٠٠٠٠) دونم و (٥٠٠٠٠٠) دونم من كروم الزيتون والاشجار الاخرى وخمسة ملايين دونم من الاراضي الزراعية ومثلها من المراعي والمحتطبات عدا صحراء النقب التي هي مرتفق عربي كان يقطن فيها عشرات الوف البدو . وتقدر قيمة أراضي العرب وعقاراتهم وأموالهم المنقولة والمجمدة التي يتصرف اليهود اليوم في معظمها بنحو (١٩٠٠) ميليون جنيه . ويقدر ريع املاك العرب بما لا يقل عن عن خمسين ميليون جنيه وهذا الرقم اربعة اضعاف ما ينفق سنويا على اللاجئين من وكالة الامم المتحدة المعروفة بوكالة الاغاثة !

ويصدر عن زعمائهم تصريحات تنم عن ذلك.وخريطة مايسمونه مملكة اسرائيل الكبرى منقوشة على باب برلمـانهم وجدران مؤسساتهم وشاملة لجميع فلسطين والاردن وسورية ولبنـان وأطراف العراق ومصر وتمتد الى الحجاز لتشمل المدينة المنورة وخيبر والقرى القديمة على طريق الشام التي كان يقطنها اليهود في زمن النبي عليه السلام وقبله . ويعنون عناية عظمى بتنمية قوتهم الحربية الجوية والبحرية والبرية لصد الكرة العربية اذا ما فكر العرب بذلك في يوم من الايام وللقفزات التوسعية حين سنوح الفرصة لاستكمال رقعة وطنهم التاريخي المزعوم ويعملون حسابهـم ليكون ميزان قواتهم راجحـا على ميزان قوة جميع الدول العـربية . ومن حين لآخـر يكتشف العرب في بلادهم شبكات جاسوسية محكمة وشبكات تدميرية وارهـابية أيضا تدل على نشاطهـم وحرصهم على الاطلاع على قوى العـرب ومشاريعهم واثارة البلبلة والاضطراب في بلادهم .

ومنذ توقيع الهدنة الدائمة والمصادمات بين قوات اليهود وقوات العرب على حدود لبنان والاردن وسورية ومصر لا تكاد تفتر ومعظمها تحرش وتحد من جانبهم حتى لقد بلغت شكاوى الاردن وحده خلال هذه المدة أكثر من ستة آلاف . ويهدف اليهود بذلك الى استفزاز العـرب وجعلهم يقابلون عدوانهـم بعمليات حربية يتخذونها وسيلة الى تنفيذ خطة هجومية توسعية

يستولون بها على ما يستطيعون من أجـزاء الدول المجـاورة بحركة حربية خاطفة يرون انهم قادرون عليها أو ارهاب العرب وازعاجهم وفرض الصلح عليهم أو جعل الدول الكبرى تفرضه فينفتح أمامهم آفاق بلاد العرب اقتصاديا وسياسيا واستعماريا ويزدادون توطدا وقوة • وهم مدركون ان الصلح مع العرب هو مسألة موت وحياة بالنسبة لوجودهم ونموهم وازدهارهم ولا سيما انهم مخنوقون اشد اختناق ومحرجون أشد الحرج بسبب استمرار حالة الحرب بينهم وبين العرب التي جرت معها حالة حصار ومقاطعة تزداد حلقاتها استحكاما يوما بعـد يوم وتسبب لهم مصاعب ومشاكل عظيمة منهـا توقف سيل الهجرة والاموال وتعذر الحصول على المواد الغذائية والصناعية وغلاء أكلافهـا وانتشار البطالة والاضطـرار الدائم الى الاستعداد العسكري القوي •

وتغدق الولايات المتحدة الاميركية عليهم المساعدات المتنوعة اغـداقا لتقويتهم ومساعدتهم على اسكان وتشغيل المهـاجرين الذين تدفقوا على فلسطين بعد سنة ١٩٤٨ وبلغ عـددهم نحو مليون فصار عدد اليهود فيها بهم ميليونا وثمانمأة ألف حتى لقد بلغت قيمة ما منحتم لهم وساعدت على اخراجه من بلادها باسم تبرعات ويسرته لهم من قروض وأرغمت المانيا الغربية على دفعه لهـا من تعويضات حوالي ثلاثة ميليارات من الدولارات

أو أكثر • وبذلك استطاعوا أن ينشئوا مئات المستعمرات الجديدة ويوطنوا ويدبروا الاعمال لمئات الالوف وينموا قوتهم الحربية الى درجة جعلتهم يرون أنفسهم قادرين على الانتصار على جميع الدول العربية اذا ما سنحت لهم فرصة أو مناسبة وقد ساروا أشواطا كبيرة في التنمية الاقتصادية زراعة وصناعة وتجارة وتعدينا حيث يبدو من كل هذا عظم خطورة هذا السرطان الخبيث الذي وجد ونما وقوي في ظل الاستعمار الانكليزي ثم بقوة تدعيم وتأييد الولايات المتحدة وخطره على بلاد العرب والقومية العربية وأهدافها بما لايقاس عليه الاستعمار الاجنبي وحده لأنه قائم على القوة الحربية والسياسية فقط وهي عرضة للتطور والضعف في حين ان هذا الطارىء اذا تمكن ورسخ صار اقليميا ليس من السهل اقتلاعه فضلا عما قد يكون له من تطورات توسعية جديدة وخطرة كما يبدو عظم جناية بريطانية والولايات المتحدة ضد العرب في اقامة هذا الطارىء الخبيث وتدعيمه في صميم بلاد العرب وعظم نكايتها ومداها ••

وقد أثبتت الاحداث انهم يبذلون من الجهود أضعاف ما يبذله المستعمرون في عرقلة كل نمو وكل قوة وكل ازدهار وكل تواثق يحاول العرب أن يحققوه لأنفسهم وكل حركة تبدو منهم نحو الاتحاد والوحدة ، وفي اثارة الفتن ودس الدسائس وتحريك الاهواء والتآمر مع كل عدو للعرب لأن في ذلك حياتهم

وبقاءهم • وكلهم عيون وارصاد على كل حـركة وكل نشاط عربي سياسي وغير سياسي وكل ارتباك عربي داخلي وخارجي ليبادروا الى الوقوف منه الموقف المقتضي سلبا وايجابا • وكان حادث العدوان الثلاثي اليهودي الانكليزي الافرنسي في تشرين عام ١٩٥٦ على مصر وما جرى في سياقه من وقائع وفجائع مثلا صارخا على ما يكنه اليهود من مطامع ، ويحرصون عليــه من تنفيذ كل خطة ضـد العرب مع كل متآمر وقد سـارعوا الى اعلان ضم شبه جزيرة سيناء العظيمة الى مملكتهم مع قطاع غزة الذي كان خـارجا عن يدهم وأمعنوا في السكان قتـلا ونهبا وارهابا بقسوة لم يسجل التاريخ أشد وأفظع منه ـ الا ما سجلته أسفار العهد القديم من مثل ذلك من بني اسرائيل القدماء ضد أهل فلسطين وشرق الاردن[١] ـ ليقضوا على كل مناوأة حتى بلغ عدد الضحايا الآلاف وفيهم النساء والاطفـال والشيوخ • ولمـا فرضت الامم المتحدة على المعتدين الانسحاب تلكأوا فيه فلما ضيقت عليهم بقراراتها المتلاحقة واضطرتهم الى الانسحاب أخذوا يدمرون المنشآت والطرق وينهبون كل مـا تصل اليه أيديهـم وأمكنهم حمله ويقتلون كل من وقف في طريقهـم بل ويقتلون من وقع في يدهم من الاسرى باسلوب وحشي شديد يدل على شدة الغيظ وقصد التشفي المجرد من كل عاطفة وشرف،

---

(١) انظر سفر الخروج وسفر يوشع وسفر القضاة مثلا .

وكانوا يتفننون في مطالبهم حتى لايخرجوا من المعمعة الاجرامية بدون كسب مهما كان يساعدهم على ذلك فرنسة وبريطانية وغيرهما[1] .

٩ ــ بوادر الامل والبشرى

على ان هناك من البوادر مايبعث في العرب الامل والاستبشار رعم المشاهد السابقة والراهنة من المأساة .

فكارثة فلسطين وهولها قد جرحت قلب كل عربي من رؤساء وساسة وحكام وشعوب جرحا اليما ، وجعلت هي وما اقترفه اليهود من فظائع ويبيتونه من مطامع كل عربي يعتقد انه لا أمان ولا حياة ولا كرامة لامته وبلاده الا بزوال الدولة أو بكلمة أصدق المسخ اليهودي ، وانه لا يمكن أن يزول الا بالقوة العربية وان من واجب العرب أن يستعدوا لهذا كل الاستعداد ويجعلوا من مهزلة الحرب الفلسطينية العربية عبرة لهم ليتجنبوا ما كان منهم من اهمال وتقصير وارتجال وتآمر واعتبارات شخصية واقليمية وانصياع للايحاء الاستعماري الخ .

---

(١) في الجزء الخامس من حول الحركة العربية ص ١٢٦ ــ ١٧٤ وفي كتاب الوحدة العربية للمؤلف ايضا ص ٢٩٥ ــ ٣٠٧ تفصيل لما لخصناه في مصدر النبذة .

وهذا سر ما يبدو من تهافت شديد من اليهود وأوليـائهم على قيام حالة الصلح بينهم وبين العرب لانها الوسيلة الوحيدة لضمان بقاء هذا المسخ ونموه وازدهاره • ولكن هذا هو كذلك سر ما يبدو من العرب من تصميم واصرار على رفض الصلح • وكل عربي واع من حكام وسـاسة ورؤساء وشعوب يعرفون هذا السر المزدوج • ولا محل للريب في انهم سيحرصون على الوقوف عنده الى أن تأتي الفرصة المنـاسبة لاقتلاع الجرثومة من أساسها •

ولقد أعلن العرب على اليهود المقاطعة والحصار الاقتصادي كسلاح فعال ضد نمو مسخهم وازدهاره • ونظموا له جهازا في نطاق جامعة الدول العربية لعله أحسن وابرك عمل قامت به هذه الجامعة • وهو فعال شـامل يعمل في سبيل مهمته بقوة ودأب مستمد من شعور العرب الشديد بالجرح والاهانة التي لحقت بهم ، والخطر الكبير الذي يتهددهم والحقد العميق الذي يعتلج في جوانبهم •

وقد أتت جهوده ثمارا جنية فحال الى درجة كبيرة بل الى درجة تكاد تكون قاطعة وشاملة دون تسرب المصنوعات اليهودية التي تصنع في الارض المغتصبة وخارجها الى بلاد العرب ودون تسرب المواد الغذائية والاستراتيجية العربية الى هذه الارض ، وصادر كل ما يقع تحت يد العرب في موانئهم ومياههم الاقليمية

ومطاراتهم من مصنوعات ومواد صادرة من هـذه الارض أو مرسلة اليها • واضطر كثيرا من الشركات التي تعاملت مع اليهود في مختلف المجالات أن تصفي أشغالها فيها لان المقاطعة أدخلتها في نطاق حربها وحرمت عليها اسواق العرب ومطاراتهم وموانئهم•

ويعاني اليهود من جراء المقاطعة والحصار وشمولهما ومن جراء العداء العربي الشديد وبقاء حالة الحرب بينهم وبين العرب مصاعب ومشكلات عظيمة سوف تساعد على تحقيق الهـدف العربي الى درجة كبيرة •

ولقد كان الصهيونيون يأملون أن يأتي الى فلسطين بعـد قيام مسخهم عدد كبير من اليهود الغربيين ذوي المستوى العالي في الفنون والعلوم والخبرة الواسعة في المجـالات الاقتصادية ومعهم عدد كبير من ذوي الاموال الطـائلة فتنهض الدولة على أيديهم وتغدو دولة غربية قوية في بحر شرقي تستطيع أن تستكفي بذاتها اقتصاديا وحربيا اذا ما جاء الوقت الذي يمكن أن تنكمش عنها يد الولايات المتحدة والذي يعتقد اليهود في قرارة أنفسهم بمجيئه عاجلا أو آجلا وأن تصبح الى ذلك مركزا صناعيا وتجاريا عظيما في الشـرق الاوسط يسيطر بنشاطه على هـذا الشرق فخابت آمالهم رغم ما عمدوا اليه من دعايات مضللة وكمن في خيبتها عامل ضعف لهـذا المسخ وتقلقله سينضم الى العوامل الاخرى التي تقضي عليه • وقد كاد سيل الهجرة الذي تدفق

في السنوات الخمس التي تلت قيام المسخ أن يتوقف وأن يكون عدد النازحين عنه موازيا أو أكثر لعدد القادمين • ويهوش زعماء المسخ حين يدعون اليهود الى الهجرة ويعلنون حاجتهم الى ميليونين جديدين • وهم يعرفون قبل غيرهم هذا التهويش • لأن نفقات الاسرة الواحدة تبلغ للهجرة والتوطين٥٠٠٠ ــ ٦٠٠٠ دولار • وهذا يعني الحاجة الى ميليارات كثيرة من الدولارات من المتعذر جدا ان لم نقل من المستحيل الحصول عليها بعد الآن • وسكان المسخ كالمرقعة من كل لون وجنس • واليهود الشرقيون يؤلفون ٤٠٪ من المجموع • وبينهم وبين اليهود الغربيين من المان وبولون وروس ورومان وافرنسيس وانكليز وطليان الخ تناحر شديد لأن هؤلاء ينظرون اليهم بنظر الادنى• وهذا التناحر نقطة ضعف في حياة هذا المسخ •

ومعظم الذين جاؤوا الى فلسطين في زمن الانتداب وبعد قيام دولة المسخ قد جاؤوا بدافع الخوف من الاضطهاد والفرار منه وبدافع الفقر والبطالة والاغراء بالحياة الآمنة الرضية • ولم يزد ما جاء منهم الى الآن ــ ثم توقف سيلهم ــ عن ١٥٪ من مجموع اليهود • وكل من وجد أمنا ورزقا في بلد ما لم يأت برغم ما تبذله سلطات المسخ من جهود ودعايات واغراءات وخداع وتهويش وما ترسله من آن لآخر من هتافات مريرة وانذارات بالمستقبل الرهيب الذي ينتظر المسخ ان بقي اليهود

الاغنياء الخبراء القادرون الآمنون على انكماشهم عنه حيث يدل
هذا على ان الحركة الصهيونية الآن في حـالة تراجع أو جمود
وانها لم تكن ولم تصبح عقيدة تحفز أصحابها على الاقدام لأن
ذلك كان يقتضي أن يأتي كل من يدعي الصهيونية ويعتنقها وان
هدف الصهيونية وفكرتها لم تمس شغاف قلوب اليهود المختلفي
الاجناس واللغات والمنتشرين في جميع أرجاء الارض لأنه غير
مستند الى شيء من الحق والمنطق وحقائق التاريخ والاجتماع
بل ويتناقض مع كل ذلك . ونحسب ان هذه نقطة ضعف شديدة
اخرى ستشتد كلما اشتدت حـالة المسخ سوءا وارتباكا حتى
تكون من عوامل القضاء عليه وتلاشيه .

وحياة هذا المسخ منوطة الى درجة كبيرة بالهبات والقروض
والمسـاعدات المتنوعة الخارجيـة . ويبلغ ذلك نحو ٤٠٪ من
ميزانيته السنوية . وهذه حياة غير طبيعية ودوامها غير طبيعي
وسلطات المسخ تشعر بذلك شعورا عميقا مزيجا بالقلق والهم .
وتستنفد الضرائب ٦٨٪ من الدخل الفائض عن الحد الادنى .
وهذا ما يزيد في شدة الضائقة وضعف القوة الاقتصادية الذاتية .
وتثير كثرة الضرائب استياء شديدا وتؤدي الى أزمـات عنيفة
من حين الى حين .

وقد أدى سوء الحـالة الاقتصادية الى تضخم نقدي فظيع
نزل سعر الليرة بسببه الى أقل من ربع قيمته . وهم مضطرون

الى انفاق مـا يقرب من نصف الموازنة على التسلح خشية من كرة عربية مع شدة حاجتهم الى الاسكان والتنمية الاقتصادية، وفي هذا عامل من عوامل الشلل والاختناق •

وبسب ذلك كله يقع المسخ في عجز دائم في الموازنة الحكومية والموازنة التجارية ، حيث تؤيد الارقام المستقاة من مصادره ان عجز الميزانية الحكومية يتراوح سنويا بين ٢٠٠ و ٣٠٠ ميليون وعجز الميزان التجاري يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ ميليون • وقد بلغت الديون التي يرزح المسخ تحتها في نهاية عام ١٩٥٦ ميليار وستمأة وعشرين ميليون •

وفي كل هـذا بوادر تدل على ان هـذا المسخ سائر نحو الافلاس عاجلا أو آجلا[1] •

ولقد تغيرت حالة العرب عما كانت عليه قبل سنة ١٩٥٤ في موضوع القوة الحربية التي كان اليهود يرون انهم متفوقون فيها على العرب وقادرون على الانتصار عليهم والتوسع في بلادهم وفرض الصلح عليهم • وخاصة بعد أن انطلقت يد مصر في ظل حكومة الثورة المباركة من عقالها وكسرت الطوق الذي فرضته عليها الولايات المتحدة وبريطانية في أمر التسلح واستطاعت أن تحصل في سنة ١٩٥٥ على ما تريد من السلاح وتعمل بكل قوتها

---

(١) في كتاب الوحدة العربية تفصيل لما لخصناه هنا انظر ص ٥٢٤ ــ ٥٤٣

على تقوية قواتها الحربية عــددا وتجهيزا • وقد حذت سورية حذوها في هذا وذاك وغدت الدولتان ــ قبل الوحدة ــ تردان على اليهود الصاع صاعين كل ما حدثتهم أنفسهم بعدوان ما بعد أن كانوا يتحرشون بالحدود العربية فيقتلون ويحرقون وينهبون وينسفون ويأسرون دون أن يرعوا عهــدا ويخشوا ردا • وكل ما كان يفعله العرب تقديم الاحتجاجات والشكاوى • وقد أثار ذلك في اليهود أشد الفزع وجعلهم يملأون الدنيا صراخا وعويلا واستغاثة لأنهم رأوا فيه أن دور خوف العــرب منهم قد زال بالمرة وان دور خوفهم من العرب قد جاء مدويا قويا وان نطاقه وآثاره ستتسع بنسبة ما بين العــرب واليهود من تفاوت عظيم في العدد والامكانيات المادية • وقد استمرت قوة الدولتين على نموها حتى بلغت مبلغا خطيرا • وعظم هذا بعد الوحدة المباركة فصار للجمهورية العربية المتحدة من القوات المتنوعة ما جعلها أقوى دول الشرق الاوسط وما جعل نسف المسخ اليهودي عليها هينا يسيرا اذا ما سنحت الفرصة في حادث من حوادث الاستفزاز يقــدم عليه اليهود بما جبلوا عليه من الشر والشره والغــرور والحمق •

وحتى لو لم يقع استفزاز يهودي فان الفرصة ستتاح للعرب في وقت غير بعيد ان شاء الله وبخاصة للجمهورية العربية المتحدة لاملاء مطالبهم بدون قتــال اذا ما ازدادت قوتهم الحربية عددا

وعددا وتحسنت حالتهم الاقتصادية وثقل وزنهم في المجال الدولي وغدوا هم الذين يملأون الشرق العربي وظلوا متمسكين بحصارهم الاقتصادي للمسخ ورفض الاعتراف به وكل هذا في حيز التحقيق ، حيث يصبح وجود اسرائيل من وجهة نظر المعسكر الغربي غير ضروري ويغدو هذا المعسكر وخاصة زعيمته الولايات المتحدة أمام الخيار بين اليهود لذاتهم وبين العرب أصحاب البلاد العظيمة السعة والإمكانيات والنفط والمركز الاستراتيجي الممتاز والذين يعدون ثمانين مليونا في آسيا وأفريقية ويؤثرون على خمسة أضعافهم فيهما . ولا نشك في انهم سيختارون طائعين أو كارهين وعاجلا أو آجلا العرب حتى يأمنوا على مصالحهم. وحينئذ لايحتاج الامر الا الى قبض اليد عن دولة الشر وتركها فتنهار للحال دون حرب ولا قتال . لأن كيانها مصطنع لا يحتوي في ذاته مقومات الحياة وهي انما تستمد هذه المقومات من المعسكر الغربي ومن زعيمته بنوع خاص . وعلى أقل تقدير سوف يعمد الى مراضاة العرب ويضغط على اليهود ويرغمهم على التراجع عن الموقف الوقح الذي يقفونه حينما يقولون انهم لن يتخلوا عن شبر من الارض ولن يقبلوا بعودة لاجيء ولن يتركوا القدس كعاصمة لهم وليس عندهم مال يدفعونه للتعويض ثم حينما يتصرفون بكنوز العرب وأملاكهم وثرواتهم الهائلة تصرف اللص الاثيم . ولن يكون

لليهود مناص من التراجع لانقاذ مايمكن انقاذه رغم ما يتظاهرون به من عناد وغلظ رقبة.ولقد أخذت بوادر ذلك تبدو في ما أخذ يرتفع في الولايات المتحدة من أصوات قوية محذرة منددة منذرة . ولا ريب في ان هذا سيشتد كلما اشتد التغير والرجحان في صالح الميزان العربي سياسيا واقتصاديا وعسكريا مما تدل البوادر عليه وبنوع خاص في نطاق الجمهورية العربية المتحدة التي تمثل أكثر من ثلث الامة العربية عددا مع ميزات عظيمة متنوعة تجعلها منار العرب وعمودهم والساعد الاشد على حل مشاكلهم .

ولن يقبل العرب تسوية موقتة بأقل من رفع يد اليهود عن النقب لضمان الصلة بين بلادهم الاسيوية والافريقية وعن القدس لضمان السلطان العربي على الاماكن المقدسة ثم عما دخل في أيديهم مما خصص للعرب في قرار التقسيم وعن ممتلكات العرب التي توجد في القسم المخصص لليهود في ذلك القرار واعادة أصحابها اليها وعن ما استولوا عليه من أموالهم المنقولة وريع تلك الممتلكات طيلة السنين التي استغلوها فيها .

ولن يفوت قادة العرب وخاصة قادة الجمهورية العربية أن مثل هذه التسوية لا تقتضي أن تقترن بصلح بين العرب واليهود يفضي الى التعامل السياسي والاقتصادي بين دولة الشر والدول العربية لأنها تسوية في نطاق قرارات هيئة الامم وحسب . ولن

يفوتهم ان يصروا على ذلك • ولن يفوتهم ادراك ما ينجم عن أي صلح بين العرب واليهود من أخطار كبيرة وشرور مستطيرة على العرب وبلادهم عاجلا وآجلا لأن فيه توطيدا للجرثومة الخبيثة وتيسيرا لتغلغلها ونشاطها الاقتصادي والسياسي والاستعماري في بلاد العرب•وهذا ما يردده لحسن الحظ اليوم رجال العرب الرسميون والشعبيون معا حتى لقد غدت جملة « لا صلح مع اليهود بأي شكل ونطاق ولا قرار للعرب الا بزوال دولتهم » شعارهم وكلمتهم لا يشذ عنها أحد • فخطر قيام هذا المسخ في صميم بلادهم وعاره ، وحقد العرب وجرحهم وشعورهم بالذل والهوان بسبب نجاح اليهود في الجولة السابقة أو بالاحرى في المهزلة السابقة وبسبب ما كان من اليهود من وحشية ولصوصية وغدر وتحد واستهتار وعدوان وانتهاك حرمات ــ وهم اذل امة في الارض ــ ثم بسبب ما يبيتونه من أطماع رهيبة في بلادهم واستعدادهم ليكونوا مع كل عدو ومتآمر ضدهم أشد من أن يسيغ كلمة صلح وأقوى من أن يسمح لأحد من ساسة العرب بالجرأة على ذلك • ولقد ازداد هذا الشعور بكل هذا شدة وقوة بما كان من اليهود في خلال العدوان الثلاثي من بغي وطمع ولصوصية وقسوة وتدمير • وهذا فضلا عن ان وجود اليهود كدولة في صميم بلاد العرب مهما تفه شأنها لا يمكن أن يتيح للعرب أي استقرار واطمئنان •

ولسوف يظل هـذا الذي يتكرر اليوم على كل لسان عـربي وينبثق من ضمير كل عربي شعار العرب الدائم المؤيد بالقلوب مهما طال الزمن • ولسوف يظل حافزا لهم للاستعداد والدأب في الجهاد وفي رفض واحباط أي محاولة ومسعى لاقرار وجود هـذا المسخ الى أن يتحقق الهدف المنشود فتجتث الجرثومة الخبيثة ويزول المسخ وتعود فلسطين جميعها عربية خالصة ويهدأ بال العرب على بلادهم ان شاء الله • وقد قال الله في كتابه الكريم فى مناسبة مماثلة في زمن النبي عليه السـلام وفي حق اليهود :

« هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الالبـاب » •

وهو القـادر على تيسير ذلك والميسر له ان شاء الله كمـا قدر عليه ويسره من قبل •



انا عائدون

مطابع دار المنار بدمشق